

روايات مصرية اللحن



39

أسطورة التوءمين

ما وراء الطبيعة



Looloo

www.dvd4arab.com

مقدمة

فى هذا الكتيب نستكمل حكاية التوعمين (نجلاء)
و (ناهد) ، واللّتين صار لاسمهما ذات رنين (هنا) و
(شيرين) أو (ريا) و (سكينة) بالنسبة لمسمى ..
ولمن لم يقرءوا الكتيب السابق أقول : أرجو أن
تقرءوا الكتيب السابق ، لأن التلخيص يفسد كل
شء ..

فقط نضع بعض النقاط على الحروف فنذكركم
أن التوعمين قد اكتشفتا وجود تطابق شعورى تام
بينهما .. إن الألم الذى تشعر به إحداهما يزور
الأخرى فى الوقت ذاته فى المكان ذاته ..

عرفنا كذلك أن (نجلاء) تمثل الفتاة متوسطة الجمال
- بمنعنا التهذيب من وصفها بالقبح - الذكية إلى
حد ما .. وهى أول من لاحظ هذه الظاهرة وقررت
- لشدة ذكائها - الاستعانة بى أنا (رفعت إسماعيل)
صديق خالها ..

أما (ناهد) فتمثل الفتاة باهرة الجمال - بمنعها

التهديب من الصراخ انبهاراً بها - فارغة الرأس ،
ثقيلة الظل .. تزوجت مبكراً وأنجبت ، لكنها ما زالت
تعانى مطاردة الحب العنيد السمج لأفئاق يدعى
(صلاح) ، لم يقبل قط حقيقة كونها تزوجت ..

إن مضايقات (صلاح) لا تنتهى .. وقد أحال حياة
الأسرة الهادئة إلى جحيم حقيقى .. والكارثة هنا هى
أنه يعرف الآن سر الأختين الصغير ، ويعرف أن
الطريقة المثلى لإيذاء (ناهد) هى عن طريق إيذاء
(نجلاء) .. إن (ناهد) محاصرة بحراسة لا تهمد ..
أما (نجلاء) فلا ..

ولأسباب يطول شرحها ؛ وجدت نفسى متورطاً
حتى السائقين فى مستنقع العلاقات الأسرية المعقدة
المتشابكة لهذه الأسرة .. ووجدت نفسى أمام علاقة
المقت والتشكك العجيبة بين الأختين ، اللتين تحمل كل
منهما حقداً وحسداً لا بأس به نحو الأخرى ..

لهذا ظلت علامات الاستفهام تتراقص أمامى ..

إن أشياء غير عادية ستحدث ..

أشعر بهذا ..

أعرفه جيداً

الفصل الأول : مجرد تهيد .. ولعل الفصل الثانى

أكثر حيوية ..

ونعود لجلستنا الصامتة فى غرفة الجلوس ، نتبادل
صوت الأنفاس .. ونصغى لدقات الساعة المعلقة فى
الركن ..

دوى صوت أذان الفجر من مسجد قريب ، ففطنت
لأول مرة إلى أننى لم أتم .. بل تذكرت - فجأة - أن
لى منزلاً لم أعد إليه هذه الليلة .. غريب هذا الحماس
منى أنا الذى كففت منذ سبعة وتسعين عاماً عن
الحماس لأى شىء .. يبدو أننى ما زلت شائباً إلى
حد ما ..

قال د. (محمد) وهو يشمر عن ذراعيه وبصوت
مرهق ناعس :

- « هل تريد دخول الحمام يا (رفعت) ؟ »

قلت فى غيظ :

- « أنا هنا منذ الثامنة مساءً .. ولو لم أكن بحاجة

للحمام لكان معنى هذا إصابتى بفشل كلوى وانسداد

معوى مغاً ! »

هزّ يده كأنما ينصحنى بأن أحرص ، وقال :

- « حسن .. حسن .. لم أقارف إثمًا إذ سألتك ..

تفضل إلى الحمام .. »

وناولنى شيشبياً زلقاً مبتلاً كى أذهب به .. صوت

الصمت ، وصوت الأذان القادم من بعيد .. وإرهاق

السهر .. كل هذا يحمل مذاقاً خاصاً .. مذاق الشجن ..

الأحزان التى اختزنتها الأجيال تركزت وعتقت ، وهو

ذا إكسيرا يتلخص فى لحظات شفافة هى السمو

ذاته ..

* * *

بعدما فرغنا من الصلاة ، أعد لنا (محمود) مزيداً

من أكواب الشاي الأسود لأسكبها على الأريكة ،

وجاءت لنا الأم بصينية عليها طبق من البيض المقلى

الغارق فى السمن ، ومعه رغيفان أو ثلاثة .. ولسان

حالتها يقول : كلوا ، ولكم أمقت أن أراكم تفعلون !

ويل للوغد الذى يجرؤ على هذا ..

ولم تجرؤ طبعاً ..

بعد دقائق من الصمت ، سألتنى (محمود) :

- « حتى هذه اللحظة لم أفهم ما تنتوى عمله .. »

قلت وأنا أرشف ما بقى من الشاي فى كوبى :

- « إن (نجلاء) نائمة الآن .. عرفت هذا لأن

(ناهد) نائمة .. كل ما بوسعنا هو أن ننتظر حتى تبدأ

فى الصراخ ثانية ، وعندها نعرف يقيناً أن (صلاح)

عاد يمارس هوايته .. »

- « وبعدها ؟ »

مددت يدى إلى المحقن الزجاجى الذى وضعته معداً

على المنضدة :

- « بعدما أعطى (ناهد) هذه الجرعة من

(البارالدهايد) .. »

تردادت عيناه حولاً دلالة على اهتمامه بالأمر ،

وسألتنى :

- « وما دور هذا الـ (بارالدايد) ؟ »

- « (بارالدهايد) .. إنه سيجعلها تغرق فى نعاس

عميق مريب .. »

- « تريد ألا تشعر (نجلاء) بالتعذيب ؟ »

- « بل أريد ما هو أكثر .. إن (صلاح) لا يفقه

شيئاً فى الطب ، ولسوف يجد أن ضحيته سقطت

فأفقد النطق والوعي .. بعبارة أخرى سيُشعر كأنها ماتت .. أو توشك على الموت .. »

- « وهذا ما يريده .. »

- « بل هذا آخر ما يريده .. »

ووضعت المحقن بحذر في مكانه ، ونظرت إلى (محمد شاهين) الذى لا يتابع حرفاً مما نقول .. كان رأسه قد سقط على صدره وراح يغط كحافلة الأرياف ..

قلت لـ (محمود) بعد ما تتأهبت مرتين :

- « إننا نلعب على نقطة واهية .. لكننى - بما

أعرفه عن طبائع البشر - أعتقد أننا نستطيع الاعتماد

عليها : (صلاح) ليس بقاتل .. ثم إنه يحب (ناهد)

ولن يتركها تموت .. وهو - مثلنا - يتوقع أن يموت

(نجلاء) يقود بالضرورة إلى موت (ناهد) .. ماذا

يفعل عندئذ ؟ إن مصير فكرتى يتوقف على تصرفه

وقتها .. سيصيبه الذعر .. هذا مؤكد .. بعدها

سيغتر تاركاً الجمل بما حمل ، أو يطلب العون الطبى

مجازفاً بافتضاح سره .. وهما احتمالان يزيدان من

فرصتنا .. »

حك رأسه كأنما يرغب الفكرة على الدخول ، ثم قال :

- « وماذا لو أصابه الذعر أكثر من اللازم ؟ ماذا

لو قرّر أن يحرق ضحيته ليخفى آثار الجريمة ؟ كلهم

يفعل ذلك .. »

- « لا أعتقد .. إن رهاتى الوحيد هنا هو على

فهمى لطبائع البشر .. (صلاح) لا يقتل أبداً ، ولو

قتل فلن يبدأ بـ (ناهد) التى هى (نجلاء) .. »

ثنى ساقيه تحته طلباً لبعض الراحة .. والحقيقة

هى أن جلستنا هذه جعلتني أشعر بأن ظهري قضيب

سكة حديدية ، وأردافى تزن أطناناً حتى لتغوص فى

الأريكة أميلاً وأميلاً .. قال :

- « وما هدف مغامرته هذه إن لم يكن القتل ؟ ماذا

سيفعل بـ (نجلاء) بعد ما يمل أساليب التعذيب كلها ؟

إنها تعرف عنه كل شيء الآن .. »

قلت متأوهاً :

- « آى ! ظهري ! أعتقد أن كل ما يحدث وسيلة

للضغط علينا .. وفى النهاية سيقدم عرضه المجنون ..

طلقوا (ناهد) وزوجها لى .. وإلا سموت ألماً مع

(نجلاء) فى اللحظة ذاتها ! »

« ويظن الأمر بهذه السهولة ؟ »

« لم لا ؟ هو غير ناضج اجتماعياً .. مجرد طفل في برائن (الهى) التى لا تهان المجتمع ولا تتنازل عن أية رغبة .. وبالنسبة له أنت معتد أثيم .. وغد يجب أن يقتل ضرباً بالأحذية .. »

« أشمرك على دقة تعبيرك .. »

« لهذا أعتقد وأومن وأثق وأجزم بأن (صلاح) لن يتمادى .. تجربتنا هذه ستحطم حاجز ثقته ، ليقف فى العراء يرتجف برداً ورعباً.. ولهذا أيضاً أرى أن ... »
عندها دوت صرخة (ناهد) المرعبة

« أرى أن ... » ماذا ؟ حقاً لم أعد أتذكر .. إن النساء قتلات قصص محترفات ، والمعجزة الحقيقية هى أن تستكمل جملة واحدة تامة حين تكون امرأة فى الجور .. »
قلت له وأنا أتأمل المحقن :

« هذه هى لحظة الحقيقة كما يقول الإنجليز .. »
ستريحها هذه الجرعة من آلامها وآلام أختها .. »
ودلفت معه إلى الحجره حيث كانت المرأة المذعورة المولولة .. رفعت الملاءة ، وقلت لها شيئاً عن الحقنة التى ستريحها ، وقالت هى شيئاً عن

حاجتها إلى أى شىء ولو كان سمّاً ، ثم بعد دقائق غابت فى نعاس عميق .. لو كانت (نجلاء) تمر الآن بهذا النعاس الفجائى ، فلا بد أن ذعر خاطفها شديد .. لو لم أكن طبيباً لحسبتها ميتة حقاً ..

تحسست نبضها ليطمنن قلبى ، وأنا أشم رائحة (البارالدهايد) المقيتة فى هواء الغرفة .. ثم أشرت إلى الزوج كى يغادر الحجره ..

« ليس بوسعنا الآن سوى الانتظار .. »

* * *

لكم يثير مللى أن أعرف أننى على صواب فى كل مرة ، فلا توجد مرة واحدة يخيب فيها رأى أو يتضح لى أننى حمار ..

فى العاشرة صباحاً كان هناك رجل شرطة على الباب ، وكان مرآه كافياً كى يبعث خيالات المشرحة والمستشفيات فى عقولنا جميعاً .. وكان بدوره متوتراً قلقاً ، أخبرنا أن (نجلاء) موجودة الآن فى المستشفى لكنه لا يعرف تفاصيل أكثر ..

وهرعنا - أنا والزوج و (محمد شاهين) - إلى المستشفى المذكور ، لنجد (نجلاء) هناك فى أسوأ

حال ممكن .. الكدمات تملأ وجهها .. والخدوش فى كل صوب .. بالإضافة إلى أنها كانت فى حالة من الوعى تذكرك بالغيوبية ..

وعرفنا أن شرطة النجدة تلقت مكالمة هاتفية من مجهول - مذعور كذلك - يخبرهم بأن هناك فتاة فى حالة سيئة ، فى بنىة لم يستكمل بناؤها بعد فى (حلوان) ، وناشدهم بالإسراع لأنها توشك على الموت إن لم تكن ماتت بعد .. وبالطبع وضع السماعه قبل أن يسألته المساعد عن بياناته ..

وانتقل رجال الشرطة إلى هناك ليجدوا أن البنائة خالية تقريباً .. لا يوجد أمامها خفير يدخن المعسل ، ولا ينبج فى مدخلها كلب أجرب المفترض أنه مخيف .. سعدوا فى درجات السلم الطوبية إلى الطابق الرابع .. وأخيراً وجدوا فتاة مقيدة ملقاة جوار الجدار ، وكانت تشى بأثار معاملة سيئة حقاً .. بالإضافة لهذا وجدوا حشية مفروشة على الأرض الترابية، وبعض أطعمة ، ولفافات تبغ كثيرة تركها من خطفها حوله ..

كانوا هذه المرة بحاجة إلى سيارة إسعاف ، وحين وصلت هذه بعد ساعتين كالعادة ، مما يدلك على لهفتهم

الشديدة - نقلت الفتاة إلى المستشفى ، وقال الأطباء إنها على ما يزال جسدياً .. فقط ضربت بشدة وعنف غير معتادين .. المشكلة الوحيدة هى أنها مصدومة نفسياً وعاطفياً ، وبالتالي صار استجوابها مستحيلاً فى هذه الآونة .. ويبدو - كما قال الأطباء - أنها تحت تأثير مخدر ما ..

كان هذا كل شيء ، وقد أجبنا عن أسئلة المحضر بعدد لا بأس به من الإجابات كلها على غرار (لا أعرف .. لست متأكدًا .. هذا محتمل) .. لكن الزوج أصر على ذكر اسم (صلاح) فى المحضر .. فهو يتهمه بكل شيء ، ويطالب رجال الشرطة بالقبض عليه فى أقرب وقت ..

وحين فرغنا ، قال لى د. (محمد شاهين) :

- « كانت نظريتك صائبة برغم كل شيء .. إن أعصاب الفتى لم تتحمل أن يراها تموت أمامه، وربما بسببه .. لكن هل تعتقد أن الخطر ما زال قائماً ؟ »
قلت وأنا أرمق (نجلاء) الغافية ، بينما خراطيم المحاليل تتشابك حولها كغابة من الخطر :

- « مع (صلاح) أو من دونه ؛ سيظل الخطر قائماً .. إن هاتين الفتاتين مرغمتان على أن تتقاسما مشاعرهما ، والأدهى أنهما تكرهان بعضهما .. ربما إلى حد أن تؤذى الواحدة نفسها لتؤذى الأخرى .. هذا وضع غير طبيعي .. وكل الأوضاع غير الطبيعية خطيرة ما لم يثبت العكس ..

* * *

الفصل الثاني : إعداد .. ولعل الفصل الثالث يناسبك أكثر ..

في الأيام التالية دنونا برفق من عالم (نجلاء) الشالك ، ولم يحاول واحد منا أن يذكرها بما هو أكثر من اللازم .. كانت تتحسن ببطء ، لكن ذكرى ما حدث ظلت منطقة محرمة بالنسبة لنا ، وتعاهدنا - دون أن نقولها - على أن نتركها هي تتكلم أولاً .. فإن لم تفعل فلن يبدأ أحدنا ..

كانت الشرطة متلهفة على سماع اتهامها الواضح الصريح لـ (صلاح) ، لكن الفتاة ظلت تتحاشى هذا المنعطف في كلامها .. وأدركت أنه هددها كثيراً ، حتى صار بالنسبة لها كأننا يفوق القدرات البشرية .. كضميرها .. كالأخ الأكبر الذي يراقبنا في قصة (جورج أورويل) .. لو تكلمت أكثر فسوف يعرف بابا (صلاح) ويذيقك الويل .. الويل الذي لا يقدر أي (محمود) أو (رفعت) أو (محمد شاهين) أو أي رجل شرطة على منعه ..

ومن نافذة القول هنا أن أقول إن (صلاح) اختفى ..
تلاشى تمامًا .. بحثوا عنه في كل مكان فلم يجدوه ..
وظل السؤال معلقًا : كيف اختطفها ؟ كيف نقلها
إلى (حلوان) على مرمى أحجار من دار أختها ؟
كيف ولماذا اختار هذه البناية المهجورة ؟ ماذا كان
يريد بالضبط ؟

وهكذا دارت الأيام كما يحدث في أفلام السينما
المبكرة : تطايرت الأوراق من على تقويم الحائط ،
حتى مرّ شهر كامل ..

* * *

كنت أمشي في أروقة إدارة الجامعة ، باحثًا عن
موظف يسبب لي مزيدًا من المشاكل ، ويقول لي إن
أوراقى لن تتم أبدًا لهذا السبب أو ذاك ، حين قابلته ..
من ؟ د. (محمد شاهين) طبعًا .. فمن الطبيعي أنني
لا أعيش لدى تلك الأسرة ، والحقيقة هي أنني لم ألقه
منذ عشرة أيام ..

بعد التحيات المبتلة بالعرق سألته عن (ناهد)
و (نجلاء) ، فقال لي باسمًا :
- « ماذا ؟ ألم تعرف ؟ إن (ناهد) قد سافرت مع

زوجها إلى (أسوان) ، حيث سيعمل في السدّ العالى ..
لقد كان يتهبب هذه الخطوة منذ زمن .. أنت تعرف
كراهية المصري للترحال ، ويوم تركت قريتي لأدرس
في (القاهرة) ، ودعتنى أمى بالعويل على محطة
القطار .. لكن (محمود) لم يعد يملك خيارًا آخر ..
إن (أسوان) تبعده عن ذلك الوغد الطليق .. ثم
لا تنس أنه مهندس قبل أن يكون زوج (ناهد) .. «
قمت بابتلاع المعلومة ومحاولة هضمها ..
لا بأس .. لكنهم - الحمقى - ينسون أن (نجلاء)
ما زالت هنا ، وكان عليهم ترحيل الأختين إلى
(سويسرا) لو كانوا يطلبون الأمان حقًا ..

قلت له وأنا أطوى أوراقى :

- « هذا جميل .. لكن ماذا عن (نجلاء) ؟ إنها
ما زالت متاحة على ما أظن .. »
نظرة غريبة التمعت في عينيه .. نظرة أثارت
هلعى .. وبلزوجة قال :

- « ما رأيك في (نجلاء) ؟ »

دون حذر قلت :

- « فتاة طيبة ذكية تمت تربيتها جيدًا .. »

- « وسيدة بيت من الطراز الأول ! »

- « إنها ليست جميلة .. لكن وجهها مريح يسر

النفس .. »

- « جدًّا ! » - واحمر وجهه كعرف ديك، وأردف:

- « نحن نتفك على الخطوط الأساسية إذن ! »

- « أية خطوط ؟ »

نظر حوله ليتأكد من عدم وجود مراقبين ، ثم تابط
ذراعى بذراعه الدسمة المكتنزة ، واقتادنى ليسند
ظهري إلى الحائط ، كما يفعل رجال الشرطة فى
الأفلام الأمريكية عندما يعقلون لص المتاجر :

- « (رفعت) .. أنت أختى وتعرف جيدًا كم أحب

مصالحتك .. إن المثل يقول: (اخطب لابنتك ولا تخطب
لابنك) .. و (نجلاء) عزيزة أثيرة إلى نفسى .. وأرائى
أبخسها حقها لو سمحت لأى وغد آخر .. أ ... لأى
رجل آخر أن يظفر بها ! »

كنت أنا نموذجًا مجسدًا للغيباء والبلاهة : وفى
النهاية تمكنت من تشكيل الأحرف فى شكل جملة :

- « هل تمزح ؟ »

- « لا مزاح فى الحلال .. إن (نجلاء) بحاجة

إلى رجل يحميها ، وأنت رجل حقيقى .. يعلم الله أنك

رجل حقيقى .. »

مسحت قطرات لعابه من على وجهى ، وعدت

أصيح :

- « أنا غير قادر على حماية نفسى من بعوضة ،

وتطالبنى بحماية هذه الفتاة التى تتحمل آلامها وآلام
أختها معًا ؟ ثم .. هى فى عمر ابنتى .. ولو تركت
أسى - رحمها الله - تزوجنى (شفيقة) ابنة العمدة
وأنا فى سن العشرين ؛ لكأنت عندى طفلة فى عمر
(نجلاء) .. (محمد) .. إما أنك جننت ، وإما أن
تصلب شرابين المخ قد

هنا - فقط - تقلص وجهه ، وأدركت كمّ العواطف

الذى يكتمه طيلة هذا الوقت .. لقد كان عمليًا على

وشك البكاء :

- « إننى بمثابة أب لها الآن .. إن أباه لم يعد فى

حال تسمح بـ ... وأصارك أن المسئولية ترهقتى ..

ترهقتى .. »

- « لهذا تلقيها فوق كتف أول حمار تلقاه ، مثلما

(مختار نجيب) .. اسم له رنين قوى يوحى بمحام
 بارع أو طبيب نابيه .. وكان صاحب هذا الاسم من
 بلدة مجاورة لبلدتي في (الشرقية) ، وهو من أسرة
 طيبة على قدر لا بأس به من الثراء ، وقد صار
 محامياً استعنت به في مشكلة الأرض إياها التي أثارت
 خلافاً بين أمي وأخي .. لم يكن شخصاً ردينا لكن
 صوته العالي - إلى درجة سماع همسه حين يكون في
 بحر السلم وأنا في شقتي - جعلني زاهداً في توطيد
 علاقتي به ، وجعلني أفرّ من كل مناسبة تقرب بيننا ..
 لكني - بفضل الله تعالى طبعاً - استطعت أن
 أعالج ابنه من نوع نادر من أنواع فقر الدم ، وعلى
 طريقة زعماء (المافيا) صار مديناً لي بخدمة لا يمكن
 أن يرفضها ، ولى أن أسأله إياها في أية لحظة ..
 كان (مختار) سليط اللسان ، غير سهل الهضم ،
 يقع مكتبه في أكثر شوارع (القاهرة) إزدحاماً ،
 والبنائية نفسها ذات أهمية أمنية خاصة ، لذا هي
 مدججة برجال الشرطة المتتكرين منهم والسافرين ..
 باختصار : كان مكتب هذا الرجل هو أكثر الأماكن أمناً
 لصبيبة مذعورة يطاردها مجنون ، خاصة إذا كانت
 هذه الصبيبة محامية شابة ..

حاول (أطلس) أن يلقي بالكرة الأرضية فوق كتفي
 (هرقل) ؟ »

من جديد بشن وجهه :

- « أنا لست (أطلس) .. لكنك أفضل من (هرقل) .. »
 - « اسمع يا (محمد) .. أنا الآن شيخ فان ..
 ربما أبدو في العقد الخامس لكن قلبي وصحتي
 يؤهلاتي لأن أكون في العقد العاشر .. ولا أجد نفسي
 - بعد كل ما رأيت في حياتي - صالحاً لشيء سوى
 أن أسعل ، وأطلب كوب ماء ، ثم أتطرق بالشهادتين
 وأموت .. وتحديثي عن الزواج بعد كل هذا !؟ »

بدا عليه القنوط ، وقال وهو يطلق سراحى :

- « لا تقل شيئاً الآن .. فكر ثم سأسألك ثانية .. »
 قررت تغيير الموضوع الشائك .. سألته وأنا أطوى
 أوراقى للمرة الثالثة :

- « هل ستعود (نجلاء) للعمل ؟ »

- « بالطبع لا .. إن ما حدث لها حدث وهى فى
 مكتب ذلك المحامى .. »

- « إنني عندي عمل لا بأس به لها .. »

- « حقاً ؟ وما هو ؟ »



كنت مطمئناً لهذا ، وزاد من اطمئنانى ذلك الحامى الشاب
الحجول الذى يسترق نظرات أكثر خجلاً لـ (نجلاء) ..

وهكذا ترونى مع (نجلاء) فى المصعد ، نتجه
للقاء محامينا الأشهر الذى سيعقد لها اختباراً سريعاً .
لا بد أن تتجح فيه .. تحملت الكثير من الصراخ
والضحكات المجلجلة التى يطوح فيها رأسه للوراء
ونفته للأمام ، ثم التأكيد على أن الفتاة بخير ،
وسوف تكون كابنته أو أكثر ..

كنت مطمئناً لهذا ، وزاد من اطمئنانى ذلك المحامى
الشاب الحجول الذى جلس يسترق نظرات أكثر خجلاً
لـ (نجلاء) .. كان اسمه (كمال) ، وأصابه نظيفة من
الخواتم تماماً .. إن هذه لحظة من اللحظات النادرة
التي يصير فيها المستقبل واضحاً تماماً وحتمياً ..
وابتسمت خلسة .. وتخيلت المحامية الشابة
المبتدلة المذعورة فى ردهات المحكمة الرهيبة ،
لا تعرف شيئاً سوى ما ينصحها به (كمال) ، فلو
كانت هى (النداهة) أو كان هو مسخ (فرانكشتاين)
نفسه ، فلا يهم .. الحب سيولد حتماً .. وسوف
تمضى حياة الفتاة فى مسار طبيعى لا بأس به أبداً ..
ودعتها كأننى أم اطمأنت على فلذة كبدها ، وعدت
أمارس حياتى التى هى دائماً حياتى ..

الفصل الثالث : إطناب كثير ويمكن أن تبدأ

بالفصل الرابع ..

دق جرس الهاتف في مكتبي ، فرفعت السماعه

لأعرف الكارثة التالية .. لماذا كارثة ؟ لأن هذا

الجرس الأحمق لا يدق إلا لهذا السبب :

- « آلو ؟ »

كان هذا صوتاً جهورياً يمكن سماعه من دون

هاتف ، فقلت :

- « (مختار) ماذا حدث ؟ »

- « الفتاة .. (نجلاء) .. إنها في حالة صحية

مريية .. »

- « هذا لن يكون غريباً علي .. »

- « لقد طلبت منا الاتصال بك حالاً .. رفضت أن

نطلب الإسعاف .. بالله عليك أسرع يا (رفعت) ،

فقد نلنا من صراخها ما يكفي .. »

- « ولكن »

- « أنا بانتظارك « (كليك !) .. »

لكن القضية لم تنته بعد .. ولم تمت المشكلة ..

ظلت تطل برأسها خارج التابوت في إصرار

غريب ..

* * *

متى حدثت المأساة التالية ؟

لا أنكر بالضبط .. ربما بعد هذا بثلاثة أشهر ..

أنكر فقط أنني كنت في مكتبي أقرأ بعض المراجع

الطبية ، حين

* * *

وبغضاء رحت أرمق السماعة في يدي .. لا مفر
ولا منجى لي إذن .. إنها لقادرة على العثور على في
أى مكان وأية لحظة ، وكلما شعرت (ناهد) بصدايح
أو آلام في ظهرها .. والمشكلة هي عجزى التام عن
التنصل .. ألم أكن أنا الذى زرع تلك المصيبة في
مكتب (مختار) ؟

وهكذا ارتديت سترتى ، وهرعت إلى سيارتى ..
سيكون الوصول إلى مكتب (مختار) والعثور على
مكان للتوقف مستحيلاً فى ساعة كهذه .. لكن ما باليد
حيلة ..

* * *

وتحسستُ خصرها حيث رقدت على المقعد الجلدى ،
لا تكف عن الأبين .. فأطلقت صرخة عارمة وانفجرت
بأكية ..

كان الأمر واضحاً .. مغمص كلوى شديد إلى درجة
أنه جعلها تصرخ ، وهى من الطراز الصموت الخجول
الذى يصرخ عن طريق عض شفتيه ..

قال لى (مختار) وهو يشعل لفافة تبغى الثالثة :
- « يجب أن تأخذها معك ! لا يمكن تركها هنا .. »

وهتف (كمال) فى هستيريا وهو يقرب كوب ماء
من شفتيها :

- « افعل شيئاً يا دكتور ! لو كانت بحاجة إلى دمي
فخذوه ! »

وأنا أمقت هذا النوع من التطوع العاطفى الذى لم
يطلبه أحد ..

من تحدث عن دم هنا ؟ قلت وأنا أنهضه :
- « لسنا فى أحد أفلام (توجو مزرلحي) يا بنى .. إن
خير ما تقدمه لها هو أن تكف عن صبّ السوائل فى
فمها ، فخير ما سيحدث هو أن تقىء فوق ثيابك .. »

ولد (مختار) قلت وأنا أشخبط كلمات على ورقة :
- « أما عنك ، فرغبتك فى الخلاص منها حتى
لا تموت فى مكتبك وتجلب لك المصائب ، رغبتك هذه
لا تهمنى البتة .. قل لأحد العمال أن يجلب لنا هذه
الأدوية حالاً .. »

بدا متردداً فأخرجت ورقة عملة دستتها فى يده ،
متعمداً الإهانة .. لكنه كان عملياً أكثر من اللازم ،
فاكتفى بأخذ المال والورقة والخروج من الغرفة ..
لهذا ينجح الناس ويثرون بينما أفضل أنا ..

جاء الدواء ، فأفرغت ما استطعت منه فى عروق
الفتاة ، وبدا لى أنها تتحسن حقاً .. نظرت لساعتي
فوجدت أنها الثالثة بعد الظهر ، ولا بد أن هناك
مشهداً مأساوياً مماثلاً يحدث فى (أسوان) الآن ..
- « هل أنت بخير الآن يا (نجلاء) ؟ »
بصعوبة فتحت شفتيها اللتين التصقتا بالقشور ،
وقالت :

- « ن .. نعم .. شكرًا لك .. »

- « إذن تعالى ببضع .. سأوصلك للبيت .. »
دون كلمة أخرى أعاد لى (مختار) عشرين قرشًا
بقيت من مالى بعد شراء الدواء ، وقال فى كياسة
إبه يرحب بأن تأخذ الفتاة إجازة لمدة يومين .. أما
(كمال) فعانقتى فى حرارة ليغرق وجهى بالدموع
والعرق .. إنه عاشق متحمس حقاً ، ولا بد أنه يقنى
لها الكثير من أغاتى (عبد الحليم حافظ) بصوته
الأجش المشروخ ..

وفى سيارتى سألتها عن رقم هاتف (ناهد) فى
(أسوان) ، فلا بد من إخطار الزوج بالأمر .
كانت منهكة ملبدة الفكر نوعًا من تأثير الدواء

- الذى يحوى بعض المخدر طبعًا - لكنها أملت الرقم
ببطء شديد ، وكررتة أنا كى استظهره ، ووصلنا
لدارها فساعدتها على الصعود ، وبالطبع قوبلت بأفضع
عاصفة من الهستيريا والجزع .. وكان على أن أؤكد
لهم أننى لست السبب فيما حدث ..

فى النهاية نزلت الدرجات المهشمة ، واتجهت إلى
السنترال المجاور كى أتصل بـ (أسوان) .. وفى تلك
الأيام كان الاتصال بمحافظة أخرى يستغرق نفس
الوقت اللازم للسفر إليها بقطار الدرجة الثالثة ..

لا بد أننى لزدت شيخوخة ، حين سمعت صوت
الموظف يهدر فى مكبر الصوت بالرقم الذى طلبته ،
وهرعت إلى الكابينة لأغلقها على ، وأسمع صوت
(محمود) يتساعل عن المتكلم ..

- « إنه أنا يا (باشمهندس) .. (رفعت إسماعيل) .. »
- « أعوذ بالله ! هل توفى أبو (ناهد) ؟ »
- « للأسف لا .. أردت أن أطمئنك على (نجلاء) ..
لقد انتهت نوبة المغص الكلوى ، ولا بد أن (ناهد)
بخير بدورها الآن .. »

ساد الصمت هنيهة ، ثم غمغم فى بلاهة :

كما يفتك بنا فيروس (الإنفلونزا) لأيام ، ثم يقرر
فجأة أن ينهى دورة حياته ..

التفسير الثانى : هو أن بعد المسافة لعب دوراً فى
إضعاف الظاهرة ، وهو تفسير يمكن قبوله إذا
افترضنا أن موجات أثرية معينة تنتقل من واحدة
للأخرى ، ولا يمكن قبوله إذا تبيننا نظرية (ساعة
الحياة) التى تحدثنا عنها فى الكتيب السابق (الفصل
التاسع) ..

الطريقة الوحيدة للاستقراء هى أن نجرب إحداث
ألم لدى (نجلاء) ، وبشكل متكرر ، فإذا حدث توارد
شعورى كان هذا دليلاً على وجود خطأ ما .. وإن لم
يحدث كان علينا أن نقرب الأختين ونعيد التجربة ..
بهذا يمكننا قبول أحد التفسيرين أو رفضهما معاً ..

* * *

عدت إلى الشقة لأطمئن على (نجلاء) من جديد ..
كانت نائمة بذلك الإيهاك الذى يلى المغص الكلوى ،
ويجعل تمييز المريض من الملاءة عسيراً حقاً ..

سألنى الأب عن صحة (ناهد) ، وهو حدس
غريب لأننى لم أقل لأحد إبنتى سأصل بها .. والأغرب

٣٣

- « مغص ؟ إن (ناهد) على ما يرام .. أعدت لنا
الغداء وتناولته معى ، ثم هى الآن تغسل الأطباق
فى المطبخ .. لحظة .. ها هى ذى قادمة ! لا شىء
يا (ناهد) .. لا شىء .. لم يمت أحد .. إنه ذلك
الطبيب يؤكد أنك تتألمين من المغص الكلوى .. حتى
لو كنت بخير فلا تصدقنى ذلك لأن الأطباء لا يخطئون
أبداً .. »

وسمعت صوتها تغمغم بشىء ما ، ثم جاء صوته :
- « على كل حال أشكرك يا دكتور .. أبلغ السلام
لجميع من لديك ، وقل لهم أن يتصلوا بنا .. »
ووضع السماعة ..
غادرت الكابينة غارقاً فى العرق .. عرق القيث
وعرق الارتباك ..

إن (ناهد) لم تمر بالألم ذاته .. للمرة الأولى
منذ بدأت الظاهرة ، أجدها تتصرف بشكل منفصل عن
شقيقتها .

ما هو التفسير ؟

التفسير الأول : هو أن الظاهرة انتهت .. كان لها
زمن معين ثم استنفدت أسبابها ومواردها ، وانتهت ..

٣٢

هو أن الرجل يعي ما يحدث حوله جيداً ، وكنت أظنه
لا يفهم ما يحدث بوضوح ..

- « بخير .. بخير .. »

وقربت مقعدى من فراش (نجلاء) ، وكانت المرة
الأولى التى أجد فيها وقتاً لأتأمل الغرفة الضيقة التى
شهدت صبا الشقيقتين .. كانت مطلية بالجير الذى
تشقق فى عدة مواضع ، والسقف يشى بتسرب ماء
حدث فى وقت ما .. وعلى الجدار صور مقصوفة من
مجلات فنية عليها نجوم الساعة : (عبد الحليم حافظ)
- (سعاد حسنى) .. ثم كتابات على الجدار بعضها
كلمات من أغان ، وبعضها دعاء بالنجاح .. وكانت
خزانة الثياب مفتوحة تكشف عن بعض (البلوزات)
الرخيصة التى - حتماً - تشاجرت الفتاتان كثيراً
بسببها يوماً ما .. (ناهد) هاتم قد ارتدت بلوزتى
الجديدة دون أن تطلب إذنسى .. (نجلاء) سرقت
دبابيس شعرى .. أين قميص نومى الأبيض !؟

وابتسمت ، وتمنيت ألا يرى أحد ابتسامتى .. لقد
رأيت فى حياتى أفخم القصور فى (سكوتلندا) ، وأرقى
الفنادق فى (جنيف) ، لكن هذا الجو المصرى
الحميم ما زال يثير حنيناً شديداً فى أعماقى ..

فتحت عينيها ببطء ، ورمشت قليلاً .. فسألتها
بصوت رقيق :

- « (نجلاء) .. هل أنت بخير الآن ؟ »

- « نـ .. نعم .. »

- « لدى سؤال واحد .. لو أجبت عليه سأرحل
ويمكنك العودة للنوم .. »

- « قلّه .. »

- « هل حدثت لك آلام غير مبرزة منذ سافرت
(ناهد) إلى (أسوان) ؟ »

رمشت من جديد ، بعينين حمراوين زائغتين كأنما
تتذكر .. ثم قالت :

- « لا .. مرة واحدة أو مرتين .. لقد تحسن
الوضع كثيراً .. »

- « هذا هو كل شىء .. شكراً .. »

ونهضت ، ودعوت الأبب كى يقودنى لباب الشقة ..
يمكن القول إن المسافة هى العامل الأساسى الذى أدى
لشفاء هاتين المزعتين .. إن اتصالهما شبيه
بموجات الراديو التى تضعف عندما تمرّ السيارة تحت
نفق ..

ولأسباب مماثلة لا يستطيع مذياعى التقاط نشرة
أخبار (الإسكيمو) لو كانت لديهم نشرة أخبار ..
كل شيء واضح متمسقى ، وأعتقد أننى أستطيع
إغلاق هذا الملف للأبد ، ووضعه فوق أحد رفوف
ذاكرتى كي يغطيه الغبار وخيوط العنكبوت .. المهم —
فحسب - ألا أنسى أنه هناك

* * *

الفصل الرابع : كثير من الهراء .. ولا أدري ما يمنع
من الانتقال للفصل الخامس ..

نتشرف بدعوتكم يوم الخميس ٧/١١ فى تمام
الساعة السابعة مساء .

لحضور حفل زفاف

الآنسة / نجلاء عبد الجواد

كريمة الأستاذ / عبد الجواد خليفة

المدير العام بالضرائب سابقاً

إلى

الأستاذ / كمال أبو قورة

نجل المرحوم / محمود أبو قورة

وذلك فى منزل العروس . والعاقبة عندكم فى السرات .

تأملت الدعوة التى أحضرها لى د. (محمد شاهين) فى
رضا .. كل شيء كما توقعته بالضبط ، وها هى ذى
الدعوة المطبوعة بمزيج من اللونين الذهبى والفضى

مع رسم ساذج لعريس وعروس يتطلعان للسعادة فى طريق مفروش بالورود ، يقود إلى عربة ذات خيول مطهمة !

بضحكنى دوماً هذا التصور الركيك للسعادة ، ولكنى راض برغم كل شيء .. إن (نجلاء) فتاة طيبة طاهرة ، ومن حقها أن تمارس حياة طبيعية .. هل أذهب ؟ بالطبع .. أنا لا أطيق حفلات الزفاف ، لكنى لا أطيق قضاء ليلة الخميس وحدى فى دارى ، وليست لدى خطة محددة .. ثم إن الفرار من (محمد شاهين) مستحيل على كل حال ..

* * *

وهكذا - مرتدياً البذلة الكحولية التى تجعلنى فاتناً - توجهت إلى دار (نجلاء) ، وكانت الأفراح فى تلك الأيام تعقد دائماً على سطح البناية ، ولم تكن هناك تلك المظاهر العجيبة كأندية الخمسة نجوم ، والتورتة متعدّدة الطوابق ، ورقص العريس والعروس فى حفل زفافهما .. ربما كنت متخلفاً ، لكنى لا أسيغ هذه المظاهر الحالية على الإطلاق ..

كان الشارع كله مجتمعاً هناك ، والإضاءة تزيد الحرّ حرارة ، وثمة جارة بدينة قررت أن تلعب دور الراقصة ، مما لم يساعد على إضفاء مزيد من البهجة ..

وبطرف عينى لمحت باقّة ورود عليها بطاقة (مختار نجيب) المحامى ..

هناك كانت (نجلاء) فى الكوشة إلى يمين عريسها ، وقد حرص من زينها على أن يبدو مجهوده واضحاً ، لقد حولها إلى أقبح عروس مولد يمكن أن تراها . أما (كمال) فكان يرتدى بذلة سكرية اللون ، ولا يكف عن العرق والتظاهر بالمرح ..

محانراً أن تضربنى الراقصة البدينة بكوعها - وفى هذا هلاكى حتماً - اجتزت المكان لأهنيّ العروسين ، ودنا مصوّر أصلع كى يلتقط لنا صورة باسمه طلبها العريس بالراح .

واستطعت أن أرى (ناهد) - وطفلها الذى تعلم المشى الآن - تشق طريقها ، وتطلق زغرودة قوية تلفت بها الأنظار ، أما (محمود) فكان يتشاجر مع أحدهم .. وكل الناس يتشاجرون فى حفلات الزفاف

لمسبب لا أفهمه حقًا .. ولاحظت بصمات شمس
(أسوان) الحارقة على بشرته .

كان المفرد الوحيد لى هو ركن المكان .. تسللت إلى
هناك ، وأعطيت ظهري لكل هذا الزحام، ورحت أرمق
الظلام النقي المخيم على المنطقة ، وانتابتنى رجة
فى عروقى .. هذا الشعور المتفرد العتيد .. حين تدير
ظهرك للصحب ، وتقف وحدك فى الظلام شاعرًا
بلذة الشجن .. لذة الحزن .. أو ما يسميه الإنجليز
بـ (زهرة الحائط) ..

الشارع صامت ينعكس عليه ضوء شاحب من
الزينة المعلقة على السطح ، والشارع خالٍ لأن كل
سكاته يقفون الآن ورائى ..

استطعت أن أرى ذلك الخيال لأحد المارة يمشى
الهوينى فى الطريق وقد بدا شاردًا .. شاردًا إلى
درجة لا تسمح بها هذه الضوضاء ..

نظر لأعلى نظرة عابرة ، ثم واصل المسير ، لكن
هذا كان كافيًا لى ..

هذا (صلاح) ! برغم الظلام والمسافة عرفته ..

(صلاح) يحوم حول حفل الزفاف ، فلماذا ؟

لا أعتقد أنه سيقتم الحفل ليطلق الرصاص على
(ناهد) .. الحياة ليست بهذه الميلودرامية التى نراها

فى السينما .. هنا أكثر خطورة من الرصاص ..

معناه أنه لم ينس قط ، ولم يتعلم قط ..

معناه أنه قريب، يعرف كل شيء عن هذه الأسرة ،
وثمة شيء يختمر فى ذهنه طيلة الوقت ..

هل أصرخ وألفت نظري الموجودين ؟ فى الغالب
لن أفيد بشيء من هذا سوى إفساد ليلة العمر على
(نجلاء) .. (صلاح) سيختفى كما يختفى الغار فى

مقلب قمامة ، بمجرد أن يدرك أننا لاحظناه ..

رأيت أن الحل الأكثر صوابًا هو أن أخبر (محمود) ..

ناديته ، واختليت به بعيدًا عن السامعين ، وأخبرته
همسًا أن (صلاح) هنا ! إنه يحوم حول البناية ..

- « الوغد ! لا بد أنه ينتوى عملاً أحمق ! »

- « لا أظن .. إنه يبحث عن وسيلة يرتكب بها

عملاً أحمق ، لكنه لم يستقر على رأى بعد .. »

- « وماذا ننتظر ؟ هل نلحق به .. »

- « كنت أفكر فى الشيء ذاته .. لكنى - أصرحك -

لست من هواة أن أتلقى اللكمات فى أنفى أو الركلات

فى بطنى، كما أننى - بالتأكيد - لا أحب طعنات المدى
فى طحالى .. ولهذا - أصارك - أشعر بالخوف من
التعرض لهذا الشيء المخبول ..

احمر وجهه وازدادت عيناه حولاً :

- « دعه يحاول شيئاً كهذا ، ولسوف يجمعون
أشلاءه بالملقط .. »

وكور قبضته وانطلق ، فرحت أركض خلفه محاولاً
أن أبو على طبيعتى ..

وفى الشارع كان الظلام دامساً .. الانعكاسات
الشاحبة لأضواء الزينة هى الشيء الوحيد الذى
يجعلنا نميز ما حولنا ..

- « فلنتفرق ، وعلى من يراه أن ينذر الآخر .. »
- « هل تقترح صيحة وعل (الإستبس) فى موسم

التزواج ؟ »

نظر لى فى الظلام ، فلم ألمح ضحكة التهكم على
وجهه تعبيراً عن ثقل ظلى ، واتجه إلى اليمين
فاتجهت إلى اليسار ..

لم أمش سوى عشرين خطوة حتى وجدته .. كان
خارجاً من زقاق جانبي ، وفى يده لفافة تبغ غير

مشتعلة .. لقد تبدل كثيراً حقاً ، فلم يعد يطيل شعر
رأسه ، وأطال لحيته بطريقة غريبة ، إذ أوصلها
بسالفيه ، حتى صار أقرب لصور كتب التاريخ التى تمثل
الإمبراطور (غليوم الأول) أو (غاريبالدى) - لا أدرى
من بالضبط - وعلى عينيه عيونات بلا إطار .. لكن
من المستحيل أن يرى المرء هذا العود مرتين ..

دنا منى ، وباشمئز لا داعى له دس لفافة التبغ
فى شفتيه ، وقال :

- « تسمع تونغ لى ؟ »

بسبب اللفافة التى شوهدت حروفه .. وهنا فطنت إلى
الحقيقة الغريبة : (صلاح) لا يعرفنى ولا يذكرنى ..
لم يرئى سوى دقيقة واحدة فى المستشفى ، ولربما
لم يلحظنى أكثر ، أما أنا فأذكره جيداً بالطبع ..
لقد رأيت ممثلاً سينمائياً شهيراً ذات مرة فى ميدان
(التحرير) ، ورأى هو أيضاً .. لكن من طبيعة
الأشياء أننى ظلتت أذكر كل تفاصيل ثيابه ، بينما هو
نسينى بالتأكيد بعد دقيقة واحدة ..

وكان (صلاح) هو بطل هذا الفيلم .. يلعب دور
(الشرير) أو (الفيلين) ببراعة غير عادية .. لهذا
نذكره جميعاً حتى لو لم يذكرنا هو ..



وفي اللحظة التالية وثبت على (صلاح) واحتضنته بذراعي
بطريقة جعلتني بعيداً عن متناول قبضته ..

أشعلت له لفاقة تبغته بيد مرتجفة قليلاً ، ورحت
أفكر : هل أصرخ الآن ؟ هل أتقضّ عليه وليكن
ما يكون ؟

في النهاية وجدت حلاً مرضياً يعطله بعض الوقت ..
رحت أسأله عن موضع محل شهير في (شبرا) ،
وكان بعيداً عن هذا المكان يحتاج إلى كثير من
الشرح .. وبطرف عيني نظرت إلى الناحية الأخرى
من الطريق .. أين (محمود) ؟

كان (صلاح) يشير بذراعه ليوضح شرحه أكثر ..
- « هل تعرف تلك الصيدلية ؟ تعرفها ؟ ليكن ..
ستفارقها وتتجه لليمين وتمشي دون توقف حتى تصل
إلى سينما (التحرير) .. سينما ماذا ؟ »

- « (التحرير) .. »

- « لا بأس .. ومن هناك »

كان خيال (محمود) قادمًا .. وفي اللحظة التالية
وثبت على (صلاح) واحتضنته بذراعي بطريقة
جعلتني بعيداً عن متناول قبضتيه .. لن يهرب ..

- « ماذا ؟ هل جنتت ؟ »

ولكن (محمود) فهم على الفور ، واندفع ركضاً إلى حيث كان جسداً يلتحمان ، وسمعت صوت اللكمة الأولى كما كان يحدث في أفلام (فريد شوقي) .. المؤثرات الصوتية للأواح الخشب المتضاربة ، و (حميدو) يقهر اللصوص جميعاً .. سقطت على الأرض بين الأقدام ، فقد جرحت وأنا أثبت عويناتي على أنفى .. ورأيت الهول ذاته في صراع الرجلين .. لم يكن صراع غضب أو صراع تحذ ، بل هو صراع قتل .. أحد الرجلين يحاول قتل الآخر ..

كان (صلاح) تحت تأثير المفاجأة وعدم الفهم ، و (محمود) كان قوياً بحق .. لهذا سقط (صلاح) أرضاً ، ولم يكن الرفق بعدو ساقط من أخلاق (محمود) اليوم ، لذا راح يركل الجسد في أكثر المواضع إيذاءً له .. وهنا تنبهت للمرة الأولى .. لقد صرنا بصدد عملية قتل ..

- « (محمود) ! يكفيه هذا ولنطلب الشرطة ! »
لكن سعار الجنون تسلط على المهندس ، زالت كل

مساحيق الحضارة ليتحول إلى رجل كهف يفتك برجل آخر من أجل السيطرة على العشييرة .. «
- « (محمود) ! »

وجريت لأجذبه من ذراعه، لكنه انتزعها ووثب في الهواء ليسقط فوق .. آى !! فوق ضلوع (صلاح) .. وقف يلهث كثور برى أنهكه الهنود على حين جثوت أنا جوار الفتى الممدد على الأرض ، وتحسست نبض عنقه .. لا ؟ نبض معصمه ؟ لا ؟ أشعلت عود ثقاب وتفحصت حدقة عينيه .. لا ؟

نهضت زاجف الساقين، وبصوت متحشرج أعلنتها:
- « لقد مات ! »

- « إنه يتظاهر بذلك .. سيفيق حالاً .. »
- « بل هو ميت فعلاً ، ولو كنت أنا عاجزاً عن تمييز الموت بعد ثلاثين عاماً من الطب ، فأنا في مشكلة حقيقية .. »

هنا راحت السكره وجاءت الفكرة .. وقف حائراً يتأمل (ما أوكته يداه وما نفخه فوه) ، وللحظة حسبته على وشك البكاء ..
- « والعمل ؟ »

- « لا عمل سوى إبلاغ الشرطة .. »

- « هل تمزح ؟ »

وتلفت حوله يرمى الشارع الخالي المظلم ، ثم هتف :

- « إن أحدًا لم يرنا ولم يسمعنا وسط هذه

الضوضاء .. لن يعرف أحد أبدًا ما حدث .. »

ابتسمت في شفقة لسذاجته ، وقلت :

- « أولاً : ليس هذا ديدني .. أنا لا أخالف القانون ،

ولا أتهرب من مسئولية أخطائي .. ثانيًا : من الحمق

أن تحسب الشرطة لن تتعرف الجثة .. إن الفتى له

سوابق كثيرة وبصماته عندهم ، ومن السهل أن

يعرفوا أن هذا (صلاح) .. وسوف يجدون أنه قتل

على بعد خطوات من دار الفتاة التي كان يهددها ..

وكل المدعوين للزفاف يمكنهم أن يؤكدوا أننا

غادرنا الحفل في الساعة كذا ، وقد بدت الخطورة

على وجهينا .. لا يا (محمود) .. لا تحاول إصلاح

زلة بجريمة كاملة الأطراف .. »

- « لقد انتهى مستقبلي .. ولربما كانت المشنقة

هي

- « لا أظن .. إن المحامين سيؤكدون أنك كنت

تدافع عن نفسك وعن بيتك ، وتاريخ الفتى لا يترك

شكًا في هذه المقولة .. »

كان ما زال مترددًا ، فجذبتة من ذراعه لنبحث عن

أقرب جهاز هاتف ..

* * *

لقد انتهينا - بشكل حاسم جزئى - من مشاكل

(صلاح) .. فهل هناك مصدر آخر للمشاكل ؟

* * *

الفصل الخامس : إسهاب شديد .. وأرى أن تنقل

إلى الفصل السادس

لم تطل التعقيدات لحسن الحظ ، فأطلق سراحي أنا
بضمان وظيفتي ، ولم يطل الأمر بـ (محمود) كذلك
لأن الجريمة استوفت أركان الدفاع عن النفس ..

لكن ما حدث سبب قلقاً هائلاً للجميع ، وبالطبع
أفسد ليلة عمر (نجلاء) تماماً ، مما يدلك بحق على
قلة حظها في كل شيء .. قليلات هن الفتيات اللاتي
يستطعن الفخر بأن جريمة قتل ارتكبت في حفل
زفافهن ..

لقد عادت المياه الهادئة تتدفق تحت الجسور ،
وبرغم كوني كارهاً للعنف زاهداً فيه ؛ فقد بدا لي أن
ما حدث كان هو الحلّ الوحيد .. إن بتر الذراع
المصابة بالسرطان لحلّ دموى عنيف ، لكنه يظل
الحلّ الوحيد حقاً ..

* * *

كان هذا صوت د. (محمد شاهين) في الهاتف :

- « (رفعت) .. لم أسمع صوتك منذ شهرين .. »
كدت أصارحه بأننى زاهد في كل ما يجعلنى أرى
هذه الأسرة ثانية .. اختطاف وقتل ، وصورة المرأة
التي تلثم ثعباناً ، وشأى ينسكب على الأرائك .. كل
هذا أقوى منى ..

- « كنت مشغولاً بعض الشيء يا (محمد) .. »

- « ألن تزور (نجلاء) في دارها ؟ »

- « وهل هذا ضرورى ؟ »

- « هى مريضتك وابنتك .. ثم إن المجاملة »
هنا وجدت أن هذه المهمة ضرورية .. فى الآونة
الأخيرة بدأت أتحول إلى حيوان غير اجتماعى يعشق
(الأوكسجين) ويمقت (ثانى أكسيد الكربون) ، ورحت
أحاول جاهداً ألا أنزلق إلى الدرك الذى رحمت أنزلق
إليه .. لهذا صرت أرغم نفسى على حضور حفلات
الزفاف ، وزيارة المرضى ، وأداء واجبات العزاء ..

- « ليكن يا (محمد) .. متى وأين ؟ »

- « فى الثامنة مساءً .. نفس البيت .. »

- « أحقاً ؟ هى لم ؟ »

- « إن (كمال) مازال يتحسس طريقه المهنى .. وأبوها
وأما بحاجة إلى رعاية .. وأخوها ما زال طفلاً .. »

- « ألم تنجب بعد ؟ »

راح يضحك حتى انقطعت أنفاسه ، وقال :

- « (رفعت) ! أنت لست بهذه السذاجة .. لقد تزوجا منذ شهرين .. أنت تعلم أن الحمل يستغرق تسعة أشهر .. »

غلى الدم فى عروقى .. هذا الرجل لن يكف عن السذاجة ، ولن يفهم مزاحى أبداً .. ولديه الشجاعة كى يخبر طبيباً بحقيقة أن مدة الحمل تسعة أشهر ..
- « ليكن يا (محمد) .. أراك هناك فى الثامنة .. »

* * *

قرعنا الجرس ، ففتحت لنا (نجلاء) الباب .. خيل لى أنها صارت أجمل إلى حد ما ، ثم قررت أن هذا يعود إلى الإضاءة القادمة من اليسار ، والتي كان (ميريانت) يعشقها .. إنها تجعل الأثنياء أجمل دوماً (*) ..

(*) ميريانت فن رين : فنن هوندى عظيم. هو رائد ما أسموه بـ (القرن الفلامنكى) فى الرسم .. وله لوحة شهيرة جداً هى (الحارس الليلى) .

كانت الشقة كما هى ، فيما عدا أنهم أعادوا طلاءها بشكل غير دقيق ، وكان هناك (أنتريه) جديد له رائحة (دمياط) ، وجهاز تلفزيون صغير موضوع فوق (بوفيه) ملىء بالزخارف ..

إن هى إلا دقيقة حتى برز لنا (كمال) ، وكان قد تجاوز مرحلة العريس الذى يقابل الضيوف بالروب ، إلى مرحلة مقابلتهم بمنامته ذات الخطوط الخضراء الطولية ، ثم جاء الأب مترنحاً منهاكاً ، وجاءت الأم هائشة باشة تحمل صحيفة عليها كويان ملبان بمشروب وردى مخيف ..

تبادلنا التهاتى والشكر ، ولم ينبس أحدنا بحرف عما كان ، ولم نذكر ما فات لأنه - ببساطة - قد مات .. فقط وضعت مظروف (النقوطة) إياه فى مكان ظاهر .. سألت (نجلاء) عن أخبار جديدة مفرحة على غرار القىء صباحاً ، فاحمر وجهها خجلاً وأغمضت عينيها أن نعم ..

نظرت لها نظرة متسائلة فهمت معناها على الفور ، فأغمضت عينيها من جديد ، هذه المرة بمعنى (لا) .. لا لم تعان (ناهد) أعراضاً مماثلة فى (أسوان) ..

لقد شفيت الأختان تماماً كما هو واضح ..

حملت (نجلاء) الصحافة بكوبيها الفارغين ،
فاتتحي (كمال) ليجلس بجوارى ، وربت على ركبتي
بيده مردداً عبارات من نوع (أنستنا يا دكتور) ، ثم
همس وعلى وجهه علامات التجديفة :
« هل يمكن أن أنفرد بك فى الشرفه لبضع
دقائق ؟ »

وهى اللحظة التى أخشاها .. لحظة أن يطلب من
ألقاه أن ينفرد بهى ، ثم يبدأ فى وصف مشكلة
حياته المأساوية : غازات البطن أو الإسهال أو الدوار
إذا ما نهض من الفراش بسرعة .. ثم لا يقتنع بأى
اقتراح أقدمه ..
أسلمت أمرى لله وتبعته إلى الشرفه الضيقة ذات
السور الخفيض ، الذى يهدد بسقوط واحد منا فى أى
لحظة .. وحاولت جاهداً أن أمنع حزم الثوم المعلقة
هناك من خدش صلعتى ، وأزحت بقدمى دراجة أطفال
مكسورة بلا عجلات لا بد أن (أخساتون) كان يلعب
بها جوار أمه (تى) ..
قلت له بعد ما طال الصمت :

- « أهنتك على ولى العهد القادم .. »

- « عقى لك ! »

بدت لى الكلمة عجيبة ، لكنى تجاهلتها ، وعدت
أسأله :

- « هل أجرت اختباراً للحمل ؟ »

- « لا .. لكن الأمور واضحة ، وعلى كل حال لم

أطلب الاثفراء بك لهذا

- « إذن ؟ »

ابتلع ريقه باحثاً عن كلمات ثم قال بصعوبة :

- « إن (نجلاء) فى حالة غير طبيعية .. أعنى ..

ليست مجنونة حتماً لكن البعض قد يصل لاستنتاجات
غريبة لو رأى ما تقوله وما تفعله أحياناً .. إنها
لا تشعر بشيء ، وفى غاية السعادة .. لكن أهداً لم
يخبرنى من قبل بـ

نظرت إلى الشارع الذى صبغه المساء بلونه
الأزرق الأثيق ، وقلت :

- « مفهوم .. مفهوم .. وأنت تشعر بأنك خدعت ! »

- « لا .. أنت لا تفهمنى .. »

وتذكرت ما خطر لى من قبل .. أن من لا يعرف
ولا يفهم الرابطة الشعورية بين الأختين يمكنه - دون
عسر - أن يتهمهما بالجنون .. لكن لماذا لم تصارحه
(نجلاء) بالأمر من قبل ؟ »

أجاب على تساؤلى بأسرع مما توقعت :-

- « لست أتكلم عن مشاعر (ناهد) التى تنتقل
لأختها .. بل أتحدث عن شبح (صلاح) الذى يطاردها
فى كل صوب ، فهى لا تتفرد بنفسها فى المطبخ
أو الحمام إلا وتبدأ فى الصراخ .. »

تصلب شعر رأسى المتبقى على الجانبين ، وقد
أثار كلامه اهتمامى :

- « شبح (صلاح) ؟ »

- « نعم .. ذلك الفتى الذى ما تفك يلاحق أختها ..
إنها تراه فى كل مكان وتقول إنه ينظر لها نظرات
ثابتة مزعجة .. ثم يتلاشى ما إن يلحق بها أحد .. »
- « وتقول إن (نجلاء) سعيدة برغم هذا ؟ ! »

- « وهذا هو الغريب .. إنها تصرخ وتولول ثم
تنسى الأمر برمته بعدها ، وتضحك وتمرح .. كأن
ما حدث حدث لواحدة أخرى .. »

بالنسبة لى كان الأمر واضحاً .. هذا هو ما يميز

التفاعل الهستيرى الذى يوشك أن يكون مقصوراً
على النساء^(*) .. الهستيريا هى أصلاً هروب من ضغط
نفساتى شديد لشخصية غير ناضجة ، وقد يصل
هذا التفاعل إلى أقصى صورته التى تذكرنا بالدكتور
(جيكل) والمسز (هايد) ، حين تسيطر شخصية
من شخصيتين يملكهما المريض وتحرك قياده دون أن
يعرف ذلك .. أما الصورة الأخرى فتأخذ شكل صدادع
هستيرى .. عمى هستيرى .. شلل هستيرى ..

إن الشلل أو العمى عرضان مخيفان يسببان ذعر
أى مريض حقيقى ، لكن مريض الهستيريا يفاجننا
بحالة عجيبة من اللامبالاة .. تصور فتاة فى العشرين
من عمرها قد أصابها شلل نصفى ، وبرغم هذا تبدو
مسرورة أو خالية البال .. هذه نقطة من نقاط عديدة
يلاحظها الطبيب ، وتضيف وزناً إلى عبارته النهائية
التي يعلنها بثقة : لا يوجد سبب عضوى للشلل ..

(*) لفظة هستيريا مشتقة من لفظة (رحم) اللاتينية ، وكانوا
- قديماً - يحسبون المرض مقصوراً تماماً على النساء ، واعتقدوا
أن الرحم سببه .. طبعا لم يعد هذا الكلام دقيقاً ..

هذا الشلل هستيري يحتاج إلى مختص بالأمراض النفسية ..

قال لي إن (نجلاء) سعيدة برغم أعراضها المخيفة، وهذا يوضح دون شك أنها رؤى هستيرية.. لم تكن تجربة الاختطاف مريحة بالطبع، ولم يترك لها (صلاح) أية ذكرى باسمه ..

قلت له وأنا أترجع عن السور كي لا أسقط :

- « كل هذا متوقع بالتأكيد .. ولن يدهشني أبداً ..

إن ما عاشته لم يكن بالضبط أمراً سهلاً .. »

- « إذن ترى أن أتناسى الأمر ؟ »

- « بلا شك .. إن الحل الوحيد هو أن تذهب بها

إلى أحد الأطباء النفسيين ، ولدى د. (محمد إبراهيم)

صديقي .. لسوف يطلق على حالة (نجلاء) اسماً

لاتينياً مكوناً من عشرين حرفاً على الأقل ، وهو

مجهود لا بأس به يستحق أجره عليه طبعاً .. »

هز رأسه ، وطقطق بلسانه :

- « لا لا .. كله إلا هذا ! »

وكان هذا طبيعياً ، فهو من الناس العاديين - رجال

الشارع لو سمحت لي - الذين يضعون الأمراض



قال لي : إن (نجلاء) سعيدة برغم أعراضها الخفيفة ، وهذا يوضح دون شك أنها رؤى هستيرية ..

التفسيّة كلها في سلة واحدة اسمها (الجنون) ، ومعه
يغدو شرح الفارق ما بين (العصاب) و (الدهان)
عسيراً نوعاً ..

قلت له وأنا أعود إلى الداخل :

- « ليكن .. يمكنني فهم وجهة نظرك ، وإن كنت
لا أقبّلها .. الحل الأخير في جعبتي هو أن (تبقى
الوضع على ما هو عليه) ، و تنتظر .. »
وماذا بوسع أي منا أن يفعله سوى أن ينتظر ؟
فلنتنظر

الفصل السادس : ثرثرة طويلة ولن ألوم من
ينتقل إلى الفصل السابع ..

وانتظرنا

وكانت هناك أنباء سارة أبلغني بها د. (محمد
شاهين) :

- ل (صلاح) أخ أسوأ منه وأكثر غلظة وشرّاً
يُدعى (ماهر) .. وكان في (فرنسا) منذ زمن
منهمكا في جمع العنب وتدخين سجائر الـ (جولوز) ،
حتى طردته الشرطة الفرنسية لأن إقامته انتهت ..
لقد عاد (ماهر) إلى (شبرا) ، وعرف أن أخاه
قد مات .. مات ضرباً بعد ما تلقى علقة ساخنة ..
والحق أنني أفهم لماذا اعتبر الفتى هذه الميئة مهينة
لأخيه ..

يقول الجيران إنه راح يولول كالهنود الحمر عندما
يهاجمون معسكر الجنرال (كاستر) - وهذا التشبيه
من عندي طبعاً - وسقط مغشياً عليه ، فراحوا
يفركون أصابع قدميه ويدلكون صدره العريض بالبصل
الذي طوحته إحدى الجارات من الشرفّة ..

ثم إنه أخيراً نهض، وراح يطلق الأناشيد الجنائزية
التي تتوعد بالويل ممن صنع هذا بأخيه .. إن دم أخى
لن يذهب هباءً .. لسوف يرى هؤلاء الأوغاد ولسوف
يبسون - جميعهم - الطرح ..

قلت لـ (محمد شاهين) وأنا أبتلع ريقى :

- « أن ننقته من أسرة (البلطجية) هذه أبداً ؟
تلك المجموعة من الشخصيات (السايكوباتية) التي
تنسى تماماً وجود القانون ..
قال وهو يضحك فى مرارة :

- « (سايكوباتية) ؟ لو عرف (ماهر) هذا أنك
أسميته (سايكوباتى) لفتح بطنك بمطواته دون
مناقشة ، وعلى كل حال أعتقد أنك فى دائرة التهديد
على كل حال ..
قلت بشجاعة حقيقية :

- « هذا سبب كاف كى لا أزرور (شيرا) لعدة
قرون .. وماذا عن رجال الشرطة؟ ما رأيهم فى هذا؟
- « إن الفتى يكتفى بإطلاق التهديدات ، لكنه لم
يفعل شيئاً ، وليس ما فى الضمائر جريمة يحاسب
عليها القانون .. عليه أن يفعل أولاً .. »

- « أى يبدأ بتهشيم رأسى ؟ »
- « ربما .. لكنى أخبرتك بهذا كى تكون حذراً ..
لقد أبلغت (محمود) بدوره ، وهو حائق تماماً ..
لكنه لم يخبر (ناهد) بسبب حملها ..
- « (ناهد) حامل !؟ »
- « وفى الشهر الرابع .. عقبى لك ! »
ووضعت سماعة الهاتف حائراً :

- « (ناهد) حامل .. لماذا لم يقل أحد هذا قط ؟
إن يمكن القول إن الفتاتين حاملان فى الفترة ذاتها ،
وهذا يسبب قدراً من الخلط دون شك .. من هى
صاحبة مشاعر الغثيان و (الوحم) وما إلى ذلك ؟ »
وهنا راحت فكرة عجيبة بعض الشيء تراودنى ..

- « هل أجرت اختباراً للحمل ؟ »
- « لا .. لكن الأمور واضحة ، وعلى كل حال
أنا

ومن جديد طلبت د. (محمد شاهين) فى داره :
- « د. (محمد) .. هل أجرت (نجلاء) اختباراً
للحمل ؟ »

« لا .. لكن هل يوجد سبب آخر لإصابة عروس
بالتقيان والقيء صباحاً ؟ »

« يا لكم من حمقى ! »

ووضعت سماعة الهاتف ، وقررت أن أفعل أى
شء فى حياتى سوى التفكير فى هاتين الأختين ،
وحكاياتهما المعقدة ..

وفى الأيام التالية اتهمت تماماً فى قضية الفتى
الذى يحرك الأشياء عن بُعد .. أنتم تذكرونها طبعاً ..
ماذا ؟ لم أحكها بعد ؟ حسن .. ذكرونى بذلك فى
المرات القادمة ..

أقول إننى اتهمت تماماً ، وسافرت مرتين إلى
قريتى على سبيل العودة إلى الجذور ، ثم عدت لأجد
(محمد شاهين) ينتظرنى وقد احتقن وجهه البدين
كأنه سيصاب بنزف مخى ..

« النتيجة سلبية ! »

« نتيجة ماذا ؟ »

« (نجلاء) طبعاً .. »

« (نجلاء) من ؟ »

هنا بدأت مخايل السمكة القلبية تبدو عليه ،
وزدادت عيناه جحوظاً :

« (نجلاء) ابنة أختى طبعاً .. ماذا دهاك ؟ »
تثاءبت ، وفتحت أحد الخطابات الملقاة على مكتبى ،
وقلت :

« هذا شء أعرفه منذ زمن .. أنتم مجموعة
حمقى لا أكثر .. ولقد مرت (نجلاء) بأعراض الحمل
كلها قبل أن تتزوج ، لأن (ناهد) أختها شعرت بها ،
وبرغم هذا لم يخطر لأحدكم أن يجرى اختباراً
لـ (نجلاء) الآن .. (الأمور واضحة) .. هذا كل
ما قاله زوجها لى .. إن التاريخ يكرر نفسه لأن
الحمقى لم يصفوا إليه فى المرة الأولى .. »

شرب كوباً من الماء كعادة الموشكين على
الموت ، وقال :

« ليكن .. نحن حمقى .. لكن ما قولك إذا كانت
(ناهد) لم تشعر بشيء على الإطلاق ، واكتشفت
حملها بالصدفة ؟ »

توقفت عن فتح الخطاب ، وتصلبت :

« ماذا تعنى ؟ »

« أنت سمعتنى جيداً ! »

« (ناهد) لم تعایش أعراض الحمل ؟ »

- « بالتأكيد ! »

هنا أسقط في يدي .. من أين جاءت (نجلاء) بهذه
الأعراض الزائفة إذن؟ هناك حالة نفسية يعرفها أطباء
النساء جيداً ؛ حين تنقطع الدورة الشهرية للمرأة ،
ويبدأ بطنها في الانتفاخ ، وتمرّ بأعراض الحمل
الهضمية المقيّنة ، ثم يتضح أنه لا يوجد حمل .. وأن
انتفاخ بطنها هو غازات احتبست لا شعورياً في
القولون .. ويسمى هذا المرض بـ (الحمل الكاذب)
أو - طلباً للطبابة - (سودو سايزس) ..

المشكلة أن هذه الحالة تصيب - فقط - النساء
العقيّمت المتقدّمات في العمر ، واللائي يتحرّقن شوقاً
للأمومة .. فما دور (نجلاء) هنا !؟

بالطبع لا بد من البحث عن تفسير آخر في مكان
آخر ..

نظرت بغياء إلى (محمد) وغمغت :

- « لا أعرف ما أقول .. حقاً لا أعرف ما أقول .. »

* * *

كان الأمر بحق يفوق قدرتي على الفهم ..

ها هي ذى (نجلاء) تمارس (الكوفيد) الذي

تحدثت عنه في الكتيب السابق ، لكنه (كوفيد)
حقيقي وليس رمزياً معنوياً كالذى أعرفه .. الحامل
الحقيقية في أتم صحة وأوفر عافية ، بينما أختها -
غير الحامل - لا تكف عن الأنين والغثيان ..

والأغرب هو ما راح يحدث لـ (نجلاء) في الأيام
التالية .. تكررت ظاهرة الآلام التي لا سبب لها ،
ومنها ما هو بسيط كالآلام الكاحل أو الظهر ، ومنها
ما هو عنيف مصحوب بكمّات ..

كان تفسير هذا سهلاً في البداية : (ناهد) قد
استعادت ربطتها الشعورية بأختها برغم بعد المسافة ،
وها هي ذى تمرّ - حتّماً - بأوقات عصيبة ..

لكن هذا التفسير تهاوى سريعاً إثر مكالمة من
د. (محمد شاهين) لـ (محمود) في (أسوان) ..
اتضح على الفور أن (ناهد) لم تشكّ من شيء ،
وخاصة تلك الإصابة العنيفة في الكتف التي تعوى
(نجلاء) ألماً بسببها ..

ما معنى هذا ؟ هل جنّت (نجلاء) ؟

كان بوسعي أن أقول هذا ، وأن أتهمها بالكذب
أو الجنون ، لو لم أر موضع الإصابة بعيني : كدمة



كان يوسعى أن أقول هذا ، وأن أتهمها بالكذب أو الجنون ، لو لم
أر موضع الإصابة بعينى : كلمة زرقاء هائلة مخيفة الشكل ..

زرقاء هائلة مخيفة الشكل ، وفي موضع عسير حقاً
أن تحدثه هى بنفسها .. إن الجروح التى يحدثها
المرء فى جسده تكون دوماً فى متناول يديه ..

ثمة احتمال لا بأس به أن تكون (نجلاء) قد
ضربت بكتفها جسماً بارزاً - كمقبض الباب مثلاً -
متعمدة إحداث هذه الكدمة ، لكنى لا أجد فى هذه
الفتاة الهشة قوة كهذه .. إن للجسم البشرى حدوده ،
حتى لو كانت تسكنه روح مجنونة ..

- « (نجلاء) .. هل أنت متأكدة من أن هذه
الإصابة لم تحدث ، ثم نسيت أنت سببها ؟ »
- « ياله من سؤال ! هل يمكن لى أن أنسى إصابة
كهذه ؟ »

- « هل يوجد نرف من أنفك أو لثتك ؟ »
- « لا .. »

فقط فى أمراض الدم النزفية - وسرطان الدم طبعاً -
يمكن أن يجد المرء فى جسده كدمات كبيرة كهذه
بلا تفسير .. لكن - فى تلك الحالات - لا يصاحب
الكدمة ألم كالذى تشعر به .

وعلى كل حال ، قمت باستبعاد هذا الاحتمال

بعناية .. إن وظائف تجلط الدم وتخثره الخاصة بها
على ما يُرام ..

وجاء حل المشكلة سريعاً ، ولكن بعد ما ينسنا
من إيجاد تفسير .. جاء في خطاب من (محمود)
أرسله من (أسوان) .. كان يحكى عن شمس (أسوان)
الدافئة والسدّ العالى .. إلخ .. إلخ .. ثم حكى لنا -
أعنى لأقارب (ناهد) - عن الحادث الرهيب الذى كاد
يفتك بـ (ناهد) لولا أن سلم الله ..

لقد كانت تعبر الشارع شاردة الذهن ، حين اصطدم
بها (حنطور) مُسرِع ، فسقطت أرضاً واصطدمت
سنابك الخيل بكتفها .. والغريب أن شيئاً لم يحدث ،
وأن الإصابة لم تحدث بها ألماً من أى نوع ..
يقول (محمود) :

- « ظلت فى الفراش أسبوعاً كاملاً تحت تأثير
الرعب لا الألم ، ولم أخبركم بشيء حتى لا تطير
أنفسكم شعاعاً .. الآن فقط يمكننى أن أحكى لكم بعد
ما انتهى الموضوع ، وتأكدت من عدم وجود ضرر ،
وتأكدت من سلامة الحمل .. »

« وللمصادفة - القلوب عند بعضها - اتصل بي

د. (محمد شاهين) خال (ناهد) ليقول لى إن كتف
(نجلاء) يتألم .. هذه المرّة أنا واثق من أن
موضوع الشعور المشترك بين الأختين انتهى ، وأن
سفرنا إلى (أسوان) كان هو العلاج الناجع للمشكلة ..
لهذا لا أجد تفسيراً سوى أن (القلوب عند بعضها) ..
حمداً لله .. ولتدم هذه المحبة بيننا ! «

« كيف حالك يا حماتى ؟ لقد بحثت فى (أسوان)
كلها لك عن

انتهى الخطاب ، وما بقى هو هراء معروف

ما معنى هذا ؟
تبادلت النظرات مع د. (محمد شاهين) والخطاب
فى يدي ..
ما معنى هذا ؟

سؤال مهم ، لكن إجابته غريبة .. بل أقرب إلى
السخف ..

أخيراً قالها د. (محمد) ، وهو يأخذ الخطاب
من يدي كى لا أطلع أسراراً عائلية ليست من حقى
(ويعلم الله أننى لا أهتم بها أصلاً) .

- « هل كوّت رأياً ؟ »

قلت وأنا أتحاشى نظراته المذهولة :

- « يمكن تلخيص الموقف فى عدة نقاط :

١ - (نجلاء) تشعر بأشياء لم تحدث لها .

٢ - (ناهد) ليست هى صاحبة هذه المشاعر .

٣ - (نجلاء) شعرت بالحمل بينما (ناهد)

لم تشعر به .. وفى النهاية (ناهد) هى الحامل
لا (نجلاء) .

٤ - (ناهد) أصيبت فى حادث ، ولم تشعر حتى

بألم ، بينما (نجلاء) هنا تتألم بعنف وقسوة .. »

ثم عقدت أناملى تحت ذقنى لأبدو خطرًا ، وقلت :

- « أعتقد أن الظاهرة تتخذ منحى جديدًا .. »

- « ماذا تعنى ؟ »

- « أعنى أن (نجلاء) لم تعد تشعر بما تشعر به

(ناهد) فحسب .. بل وتشعر الآن بما لم تشعر به

(ناهد) كذلك .. وبعبارة أدق : لقد صارت (نجلاء)

هى التى تتألم وتعانى بدلاً من شقيقتها ! »

* * *

الفصل السابع : لا جديد فيه .. ويمكن أن نتقل

للفصل الثامن ..

- « هذا ما كنت أتوقعه ! »

كذا صاحت (نجلاء) فى جنون حين أخبرتها

بالاستنتاج الغريب ..

- « (نجلاء) .. إن ما يقال بالصراخ يمكن أن

يقال بصوت خفيض .. »

هذه المرة كانت الدموع فى عينيها .. دموع

الغيظ .. دموع من ظلم ظلمًا بينًا :

- « هذا ما كنت أتوقعه ! إن (ناهد) مخلوقة

أتانية كريهة ، وقد ظلت طيلة حياتها تجلب لى

المشاكل ، وتفوز بكل شيء .. اليوم هى قد وصلت

إلى الوضع الأمثل لها : أنا أتألم بدلاً منها ! »

تذكرت قصة (الأمير والصعلوك) حين كان للأمير

وصيف مهمته أن يجلد بدلاً منه ؛ كلما ارتكب الأمير

خطأ يستحق الجلد عليه من أبيه أو معلمه .. هذا

الوضع شبيه بحالتنا إلى حد كبير ..

قلت لها :

« ليس للآتية دور في الموضوع .. وهي لم
تختَر هذا الوضع .. لقد اختارت الطبيعة وضعا متميزا
لإحدى التوأمين ، وحتى في التوائم السيامية يحدث
أن يحتكر أحد التوأمين النمو كله ، بينما يتضاعف
التوعم الآخر ، ليتحول إلى مجرد ثالولة أو ورم في
جسد أخيه .. »

« والحل ؟ »

سألتني في ياس ، فقلت لها بعد تفكير :

« إن الوضع لم يصل للاستقرار بعد .. ما زالت
حالتكما المريية هذه في طور التحولات .. وعلينا أن
ننتظر .. »

« ننتظر ؟ كل ما نفعه أن ننتظر .. »

« (نجلاء) .. لو كان قرص الدواء الذي ينهى
حالتك في جيبي ، فلا يوجد أي سبب يمنعني من
إعطائك إياه حالا .. »

* * *

على أنني في تلك الليلة قررت أن الأوان قد حان
لأستعين بمن هم أقدر مني وأكثر علما ..

كنت أعرف أن د . (إيجور تاركوفسكي) صديقتنا
القديم - هل تذكرونه وتذكرون ثلاثية قارنى الأفكار
إياها ؟ قد ترك (مركز بحوث المخ) في (ماتهاغن) ،
وانتقل مع أسرته إلى (ساوث كارولينا) ليعمل
تحت إشراف واحد من أهم وأعظم علماء ما وراء
الطبيعة في عصرنا ، ألا وهو عالم النفس الأمريكى
(جوزيف بانكس راين)^(*) ..

جلست وكتبت خطابا لـ (إيجور) أحكى فيه قصة
الأختين العجيبة ، وطلبت رأيه ، فإن لم يكن لديه رأى
فليسأل أستاذه العظيم ..

وبعد أيام جاءنى المغلف الأنيق الذى ألصقت عليه
طوابع تمثل الآنسة (حرية) التى تحرس المدخل إلى
(الولايات) ..

كان الخطاب من (إيجور تاركوفسكي) ، ويقول
فيه :

(*) شخصية حقيقية .. والتاريخ كذلك .

جامعة (دوك)

معمل الباراسيكولوجى

عزىزى د. إسماعيل

تلقيت - بمزيد من شغف - خطابك ، وسرتنى أن صاحب الصولات والجولات فى عالم ما وراء الطبيعة يطلب رأى .

فى البداية أحب أن أصحح خطأ بسيطاً : أنا لا أعمل مع البروفسور (راين) بل أعمل على الأسس التى وضعها ، قبل أن يستقيل من جامعة (دوك) ليعمل فى مشروعه الخاص الذى سماه (مؤسسة بحوث طبيعة الإنسان) ، وكان هذا عام ١٩٦٥ أى قبل مجيئى بدهر..

إن معمل الباراسيكولوجى هنا تم إنشاؤه عام ١٩٣٠ ، وهو معمل محترم يحاول تطبيق الأساليب العلمية الصارمة على ظواهر النفس ، ونحن نستعين بالكثير من الإحصاء وقوانين الاحتمالات وميكانيكا الكم كى نفسر أشياء لا نعرف عنها سوى أقل القليل..

يسهل على المرء أن يفقد يقينه بجدوى ما نفعله..
يسهل أن نعتبرنا مجموعة من الحمقى ضلوا السبيل..
لكنى سأكون آخر من يقط .. لقد كنت أنا نفسى

ظاهرة غريبة من تلك الظواهر يوماً ما ، وإبنى لمستعد لتصديق أى شىء يقال فى هذا الصدد ..

لقد قابلنا كثيراً جداً من ظواهر التطابق الشعورى بين التوعم ولا أجد غرابة فى هذا ..

الغريب حقاً هو ظاهرة (إزاحة الشعور) هذه ، فهى جديدة لم أسمع عنها قط ، والأمر فيما أراه جدير بدراسة مدققة ..

إذن أمامك حلآن :

الأول : هو أن ترسل التوعمين إلى (الولايات المتحدة) ، ولسوف تقوم (رابطة الباراسيكولوجى) الأمريكية بتمويل نفقات سفرهما .

الثانى : هو أن تنتظر ثلاثة أشهر ، لأننى فى طريقى إلى (كوريا) لحضور مؤتمر علمى مهم ، ويمكن أن أتوقف يومين فى (القاهرة) .
أبرق لى بريدك أو اكتبه فى خطاب .

بإخلاص

د. ا. تاركوفسكى

* * *

كان جوابي هو أنسى أفضل الانتظار ، لأنه من
المستحيل طبعاً أن أطلب من الفتاتين السفر إلى
(الولايات المتحدة) لتكونا فأرى تجارب في معامل
جامعة (دوك) ، حتى لو كانت هذه سياحة مجانية ..

* * *

طلب مني (مختار) - صديقي المحامي - أن أمرّ عليه
في المكتب لشأن مهم ، وعرفت على الفور أن هذا
بخصوص (تجلاء) التي صرت أنا وكيل أعمالها كما يبدو ..
توجهت إلى مكتبه في التاسعة مساءً كما طلب ، ولم
يكن هناك في قاعة الانتظار سوى ابن بلد فظ يوحى
بأنه جزار ضرب زوجته بالشماطور .. وجاء (كمال)
من غرفة الأستاذ ، فما إن رأني حتى تهلل وصافحني
بحرارة ، ثم جلس جوارى تعبيراً عن الودّ . فسألته :

- « كيف الأحوال عندك ؟ »

- « على أسوأ حال .. وأنت ؟ »

- « سيئ كالعادة .. كيف حال الرؤى ؟ »

- « مستمرة .. والآلام لا تتوقف .. »

- « وأين هي الآن ؟ »

- « إنها تعود للدار في الرابعة عصرًا ، وأصارك

أننى لم أعد متحمسًا لعملها .. ربما كان البيت خيرًا
لها .. »

- « لكن العمل يبقّيها بعيدًا عن ذاتها وعن
ذكرياتها .. »

هنا انفتح الباب وبرز (مختار) ليرحب بي بصوته
الجهورى ، ويدعونى إلى الدخول ..

- « أنا هنا يا أستاذ منذ ساعة ثم ... »

قالها الزبون الفظ محتجًا ، وهو يرمقتى شذراً ،
وأدركت أنه على وشك فتح بطنى أنا في أية لحظة ..

- « أصبر يا معلم .. أريد أن أكون رائق البال حين
نناقش قضيتك »

وشدتى من نراعى ، فأطلق الزبون نفخة هواء
كادت تطيرنى ..

وانغلق الباب دوننا ، فسألت (مختار) :

- « إنك تتعامل مع عينات بشرية غريبة .. هذا
الرجل مذنب - لا أدرى بأى شيء حقًا - ويمكن لأى

قاض أن يتبين هذا .. »

ضحك وهو يجلس وراء مكتبه ، وقد طوّح برأسه
للخلف وفكه للأمام :

قلت لنفسى : لا بأس .. الزوج كان ينوى هذا على كل حال ..

وله قلت :

- « ليكن .. أنت أدرى بمصلحة هذا المكتب ..
افعل الصواب .. »

هنا افتتح الباب ليثب (كمال) إلى الداخل مذعورًا ،
وقبل أن أفهم كان قد تشبث بربطة عنقى ليقول فى هستيريا :

- « لقد .. لقد .. (تجلاء) ! تعال حالاً يا دكتور !
فى برود قال (مختار) وهو يسترخى فى مقعده :
- « كما ترى ! الأمور المعتادة هنا .. اذهب معه
ولسوف أتصل بك .. »

واتطلقنا خارج المكتب ، وفى المصعد قال لى
لاهنًا : إن الجيران اتصلوا به ليبلغوه أن (تجلاء)
ابتلعت أقرض الإسبرين لتنتحر ..
يا للحمقاء !

* * *

وجدتها بكثير من العسر وسط منات الجيران
وأطفالهم الذين احتشدوا فى غرفة النوم ، حتى

٨١

- « ليس الأمر كما تظن .. إنه جاء ليرفع قضية على
من اعتدى عليه بالضرب ! والآن دعنا فيما أردت أن
أحدثك فيه ، تلك الفتاة (نجلاء) .. هل هى ؟ »
وحرك أمام يده المفتوحة جوار جبهته بإيماءة
معروفة معناها الجنون ، فقلت فى كياسة :

- « لا .. ما كنت لـ .. »

- « قل الحقيقة يا (رفعت) ! »

- « ليست مجنونة .. لنقل إنها مصابة بـ (الغصاب)
وليس (الذهان) .. »

- « حلاوتك ! » - وضرب المكتب بقبضته - (غصاب)
و (ذهان) ! حقًا يا له من فارق كبير ! بالنسبة لى
يا (رفعت) أنا لا أفهم إلا ما أراه .. فتاة لا تكف عن
الصراخ دون سبب .. أتركها وحدها دقيقة ولسوف
تجنّ هلعًا .. لا تتركها وحدها تصرخ ألمًا دون
أن يمسه أحد .. كل هذا كثير .. كل هذا لا يليق
بمكتب محاماة محترم .. »

ثم ابتلع ريقه ، وبصوت أكثر هدوءًا قال :

- « أنا لا أريدها عندى .. لكنى لن أتخذ أية خطوة
ما لم أتأكد من أنك موافق .. فلن أنسى ما قدمت لى
من خدمات .. »

تذكرت أتوبيس (٣٠٥) الذي كان يمر في هذه اللحظة
قرب دارها ، وتوقعت أن يمر المحصل بتذكاره
أو أن أسمع من يقول : (العربية فاضية قدام
يا حضرات) ..

كانت نائمة أو فاقدة الوعي ، وجوارها ما يسميه
الطب الشرعي ب (الدليل العرضي)، وهو - هنا - عدة
أوراق خضراء كانت تحوى الإسبرين الذى ابتلعه ..
وأطلقت الأم صرخة حارة مولولة مستغيثة ملتاعة
مقهورة :

- « يا حبيبتي يا بنتى ي ي ي ي ي ي ! »
كان هناك كوب من الماء بقى بعض الملح فى قاعه
مما جعلنى أعرف أنها تقيأت بالفعل ، وتحسست
نيضها .. كل شيء على ما يرام ..
رفعت صوتى كى يسمعى أحد خلق الله :

- « هل ابتلعت الأقراص هنا ؟ »

ضربت الأم بكفها على صدرها :

- « نعم .. نعم نفععم ! »

أمسكت بالأوراق الخضراء ، وعددت الثقوب ..
عشرة ثقوب لا أكثر .. إن هؤلاء المنتحرين يعانون
جهلا مطبقا بعلم السموم ..

لقد رأيت كثيرا من حالات الانتحار ، وأكثرها كان
تهويشا لا أكثر من شخصيات مضطربة .. عندها كنت
ترى المنتحر يركض ركضا - حتى ليسبق كل من
حوله - جاريا إليك ، وهو يولول فى زعر :

لقد انتحرت ! لقد انتحرت !

وباستجوابه يتضح أنه ابتلع قرصين من الإسبرين
فى حين نعالج بعض مرضى الحمى الروماتزمية بستة
عشر قرصا يوميا من الإسبرين !

لكن (نجلاء) لم تكن (تهوش) .. هى فقط
تجهل علم السموم ، ولحسن الحظ أنها لم تجرب
إحدى الطرق المصرية المحببة ؛ على غرار إشعال
النار فى النفس بموقد (الكيروسين) ، أو قطع
شرايين المعصم ، أو شرب زجاجة (بوليس النجدة) ..

قلت للأم وأنا أنهض :

- « لا تقلقى .. إن عشرة أقراص لا تؤذى بعوضة ،

وفى الغالب هى قد تقيأت الكمية كلها .. سأكتب لها
دواء للمعدة يمنع ما ابتلعه من تمزيق غشائها
المخاطى .. »

وللنسوة الشمطاوات المحتشديات ، وكلهن نهم إلى
رؤية مصيبة أو سماع فضيحة ، قلت :

- « الآن إتصرفن مشكورات .. وعلى من ترغب
منكن فى الانتحار مستقبلاً أن تقفز من السطح ، فهذا
يعطى نتائج رائعة ! »

نظرن لى كأتنى مجنون بعيون تقطر سماً ..
وممصنن بشفاههن ، وجذبت كل واحدة طفلها
الحافى الذى يتدلى المخاط من أنفه ، وبرطمت
بالدعاء على ، ثم لثمت الأم بشفتين لزجتين :

- « هل تريدن شيئاً يا حبيبتى ؟ قلبى عندك ! »
وهكذا بدأ الأوكسجين ينمو على استحياء فى
الغرفة ..

* * *

وقف (كمال) جوار باب الحجره عاقداً نراعيه
على صدره .. كان غاضباً مهموماً كارهاً لكل شيء .
الحق إنه لموقف مؤسف ، وشممت رائحة سبب
لا يمكن تصديقه لغضبه ، لكنى واثق من أنه كان
هناك : كيف جرؤت على الانتحار دون أن تطلب
إذنه ؟

عسير على أى رجل أن تنتحر زوجته على كل حال ..
إن هذا يلصق به تهمة الافتراء والتوحش أو الغلظة ..

كان (كمال) غاضباً ، واستطعت فهم أسبابه ..
جلست جوارها ولدغت خذها بأظفارى حتى فتحت
عينها الحمراءين بلون الدم ، من فرط البكاء والقرء ..
قالت العبارة الخالدة التى أهلكتها الأفلام العربية :

- « اتركونى .. دعونى أمت ! »

واصلت اللدغ بقسوة ، وقلت :

- « كنا نرجو ذلك ، لكن عشرة أقراص من
الإسبرين لم تكن كافية للأسف ، وعلى كل حال مازلت
لا أفهم السبب .. »

- « إنها تلك الآلام .. تلك الرؤى .. كل شيء ! »
وانفجرت فى البكاء والمخاط ، بينما الأم تردّد دون
انقطاع عبارات فعالة فى طرد الأشباح والعفاريت ..
تلك العبارات التى لو سمعها الأب (ميرين) فى
رواية (طارد الأرواح الشريرة) لطار فرحاً^(*) ..

(*) طارد الأرواح الشريرة : رواية رهيبة للأديب الأمريكى
لبنائى الأصل (وليام بيترلاتى) ، وقد قدمت فى فيلم أحدث ضجة
(لم يعرض فى مصر) .

قلت لها فى نفاذ صبر :

- « ليكن .. أنت تتعذبين .. لكنك تحاولين الفرار من العذاب إلى الجحيم المطلق ، ولو انتحرت كل المعذبين فلن تجدى من يدفئك .. إنها فكرة حمقاء ، وما كنت أظنك بهذا السخف .. »

لكنى كنت أعرف أن المنتحر - حقيقة لا تهويشنا - هو ببساطة شخص مجنون .. شخص وصل لحالة من الجنون اللحظى يستحيل فى : أن يتعقل .. وعرفت مدى الألم الذى اعتما فى نفس هذه الفتاة ..

قلت لها بخشونه :

- « لو أردت الانتحار فافعى .. إن رحيلك سيزيد من بهجة الحياة ، ويعالج الزيادة السكانية ، ويحسن موارد الدولة بما لا يقاس .. لن يخسر أحد شيئاً سواك على كل حال .. »

- « د. (رفعت) .. لا تقس على أرجووووووك ! »
وراحت تنهه كالعادة

مسحت مخاط أنفها بطرف الملاءة ، ثم نهضت عازماً على الانصراف .. لكن وجهه (كمال) لم يرحنى ..

عرفت أنه يفكر فى أمر خطير .. عسير عليه أن يتحمل كل هذه الفضائح وكل هذه الضوضاء ، وبما أنه رجل تقليدى سيكون رد فعله تقليدياً ..
سألنى بوجهه الكظيم :

- « هل كل شيء على ما يرام يا د. (رفعت) ؟ »
- « بالتأكيد .. »

- « هل هى بخير ولا خوف عليها ؟ »
- « نعم .. »

- « أى أنها تتحمل جيداً الآن ؟ »
- « لا أدرى ما الذى .. »

قال دون أن ينظر لأى شيء .. لالى ولا لها ولا للأرض ولا للسقف :

- « حسن .. هى طالق منذ هذه اللحظة ! »
ودون كلمة أخرى غادر الغرفة ..

هذا الفتى - كما ظننت دائماً - يهوى مشاهدة الأفلام العربية ..

الفصل الثامن : أحداث متوقعة .. ولو كنت مكانك

لا تفتلت للتاسع

كدت أذكره بأنه لم يطلقها ثلاثًا ، وبهذا ما زالت
لديه فرصة لإرجاعها لعصمته .. ثم قررت أن الصمت
قد يكون أفضل ..

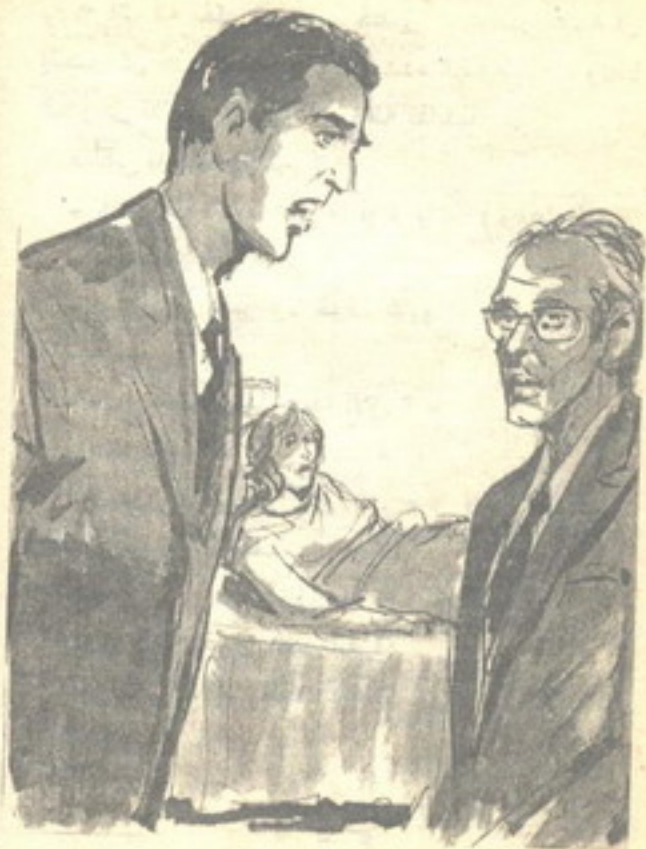
* * *

لن أصف المشهد الميلودرامي العنيف الذي تلا
هذا .. إن هذه الأمور تحطم الأعصاب على كل حال ..
لن ألومه - وكيف ألومه ؟ - ولكنني ألومها .. لقد
بلغ بها الألم ذروته ولم تجد إلا حلاً واحداً .. والحل
كان غير مرضٍ لأي طرف

وهكذا غادرت المنزل ، وقد قررت أن أزور الفتى
عند (مختار) كي أحاول إصلاح الأمور .. إن (نجلاء)
حمقاء مزعجة لكنني أحبها كابنة لي، وما زلت أجد
تستحق ما هو أفضل ..

أين أنت يا (إيجور) ؟

* * *



قال دون أن ينظر لأي شيء .. لا لي ولا لها ولا للأرض
ولا للسقف : « حسن .. هي طالق منذ هذه اللحظة ! » ..

وفى صلاة الاستقبال بالمطار وقتت - وقد جاء
الميعاد - حاملاً لافتة كبيرة كتب عليها بحروف لاتينية
(دكتور إيجور تاركوفسكى) ، فبدأ مظهرى كأحد
مندوبى شركات السياحة ينتظر فوجاً من (تيام نيام) ..
الغريب هنا أتنى لم أر (إيجور) قط ، ولا أعرف
كيف يبدو ..

فقط على أن أبحث عن شخص له سمات (شرق
أوروبا) ، وله أنف عملاق عجيب .. هكذا وصف
نفسه ..

كان الزحام شديداً ، ورحت أبحث بين الخارجين
من البوابة عن أى وجه يصلح .. تلك المرأة .. لا ؟
هذا الطفل ؟ صعب .. هذا الكهل ؟ لا ..

ثم رأيت أخيراً .. من العسير أن تخطئه العين
حقاً .. أكبر أنف يمكن أن تراه فى نصف الكرة
الشمالى بعد المرحوم (سيراتودى برجييراك) ..
أنف يذكرك بببتي (ابن الرومى) العبقريين :

حملت أنفاً يراه الناس كلهم

من ألف ميل عياناً لا بمقياس

إن شئت كسباً به صادفت مكتسباً

أو انتصاراً مضى كالسيف والفاص

أى إنه أنف صالح لكسب الرزق ، وصالح للحرب
كذلك ! فيما عدا هذا كان وجهه مليحاً قسيماً يذكرنى
على الفور بوجوه أهل (رومانيا) أو (بلغاريا) أو ..
لمح اللافتة أخيراً ، فدنا منى ، ولا بد أنه كان يرزق
فى ذهنه أبياتاً من الشعر البولندى تصف صلعتى
ونحولى الشديد ..

بإنجليزية متأركة لا أثر للكنة أجنبية فيها، سألتنى:

- « د . (إسماعيل) .. أليس كذلك ؟ »

- « د . (تاركوفسكى) .. أليس كذلك ؟ »

- « طالما تصورتك فى شكل مختلف قليلاً .. »

- « لحسن الحظ أنك لست فتاة، وإلامانت رعباً .. »

نظر حوله .. ثم سألتنى بطريقة عملية جداً :

- « أين الموضوعان ؟ »

وهى طريقة يوحى بها بالتجرد العلمى ، فقلت له
باسماً :

- « ليس بهذه السرعة .. إن الحماس شىء جميل

أفتقر أنا له ، لكن ليس إلى هذا الحد .. يجب أن

تستريح أولاً .. »

- « المشكلة هى أن وقتى ضيق ، وعسى أن أظير

إلى (كوريا) غداً .. »

« إن تذهب لغندقك ، وسوف أعود لأصطحبك
في السادسة مساءً .. »

* * *

رتبت اللقاء في مكتبي بالجامعة

يجب أن أقول هنا: إنني كنت قد اتصلت بـ (محمود)
في (أسوان) طالبًا حضور (ناهد) على وجه
السرعة ، لأن خبيرًا أمريكيًا (في هذه الأشياء) قادم
بعد أسبوع ..

إن أنانية الإنسان ولا ميالاته تثيران حنقى دومًا ..
لقد تعلمت ألا أندesh لشيء ، وتعلمت أننا جميعًا
حفنة من الأوغاد لن ينقذهم من عذاب جهنم إلا رحمة
ربى ..

لكن ليس إلى هذا الحد !

لقد قال لى (محمود) فى برود :

« هل تعلم كم يرهقنا السفر إلى (القاهرة) »

ماديًا ومعنويًا !؟ »

« هذا الرجل قد يملك الحل لمشكلة الأختين ..

إنه تلميذ (راين) شخصيًا .. تصوروا هذا ! تلميذ

(جوزيف باتكس راين) ! »

« حتى لو كان تلميذ (ابن سينا) شخصيًا ،
فهذا لن يجعل الانتقال أكثر سهولة .. »

كنت أعرف نقطة الاختلاف الأساسية هنا ، والتي
يحاول ألا يفصح عنها لى : لقد صارت (ناهد) على
ما يرام بل هى وجدت من يتألم ويتعذب بدلًا منها ..
إن ما دورهما فى المشكلة ؟ لقد انتهت متاعبه
ومات (صلاح) ، وكفّت (ناهد) عن العذاب ..
لماذا ينبغي أن يعطل أعماله ويحضر زوجته لتصير
فأر تجارب عالم أمريكى من تلاميذ (راين) ؟
غلى الدم فى عروقى .. أنا أمقت هذه الفلسفة
النفعية مفتى لجهنم ، ولهذا قلت له ضاغطًا على
كلماتى :

« (محمود) .. أنا لا أمزح .. إن (نجلاء) فى

جحيم مقيم ، بل حاولت الانتحار مرة ، وسوف تتجح

حتمًا فى المرة الثانية ، وشفاؤها يحتاج إلى أن

تفضل وحرملك بالحضور إلى (القاهرة) .. »

« إن لماذا لا تحضر عالمك هذا و (نجلاء)

إلى (أسوان) ؟ إنها فرصة للسياحة .. »

« وددت هذا ، لكن وقت الرجل لن يسمح بهذا

الترف .. »

« ولكن »

قلت له من جديد بوقاحة وتحداً :

« (محمود) إن لم تأت سيكون لى تصرف آخر! »

« هل هذا هو التهديد ؟ »

« هو بعينه .. »

« وماذا ستفعل أيها القوى ؟ »

« لن أقول لك كى لا تتخذ احتياطاتك .. أنا

بانتظار حضوركما ! »

ووضعت السماعه فى حزم :

لم أكن أمزح أو أدعى القوة .. لدى بالفعل ورقة

قوية للضغط على (محمود) ، لكنى لم أكن لأستعملها

أبداً : (ماهر) ! إن (محمود) مستعد لعمل أى شىء

كى لا يذهب الطبيب الأصلح للقاء (ماهر) ويخبره

بعنوان (محمود) ورقم هاتفه .. (محمود) الذى هو

قاتل أخيه .. ويرغم أن هذا حل يطير رأسى بدوره ..

* * *

لكننى - ولله الحمد - لم أضطر إلى هذا الاختبار ،

الذى يضع فى الميزان مصداقية تهديداتى ..

سرعان ما ظهر (محمود) وحرمه - التى دنت

من الولادة .. وطفلها ..

ثلاثة وجوه أحرقتها شمس (أسوان) يبدو عليها

بعض التذمر مع القلق .. إن (محمود) لم يعد يحب

العودة إلى (شبرا) ، خاصة بعد ما عرف أن شبح

(صلاح) يتعقبه فى صورة (ماهر) هذا ..

وفى السادسة مساءً .. دخلت مكتبى مع (إيجور

تاركوفسكى) ، وبعد دقائق جاء الطبيب المقيم -

الذى أصابه الذعر لظهورى فى ساعة كهذه - ومعه

تويمان وزوج .. (ناهد) .. (نجلاء) .. (محمود) ..

قمت بإجراء التعارف اللازم، ثم طلب منى (إيجور)

أن أخفى (ناهد) بعيداً عن أختها .. وقال لى :

« للأسف لا أجد إمكانيات معاملنا ، كالدائرة

التلفزيونية المغلقة وجهاز قياس الطاقة النفسية، لكنى

سأحاول التصرف فى حدود الإمكانيات .. هل معك

ساعة ؟ حسن .. سأعطيك ورقة بالمؤثرات المؤلمة

التي ستحدثها لدى (ناهد) - أليس هذا اسمها ؟

وعليك أن تحدد الوقت بدقة بالغة لكل مؤثر .. حسن؟»

« موافق .. »

واصطحبت (ناهد) المتشككة إلى العنبر بعيداً عن
سمع ونظر أختها ..

ثم بدأت أعرض نراعتها لمؤثرات متباينة من وخز
الإبر إلى الحرارة إلى اللمس إلى الاهتزاز ، وفي كل
مرة كنت أدون الوقت ..

طال الفحص لمدة نصف ساعة .. ثم طلبت منها
أن تعود معي ..

سألتني في ضيق وهي تنزل كم ثوبها :

- « ماذا يريد ذلك المختل ؟ »

- « يريد معرفة الحقيقة .. »

- « ماذا يقول بالإنجليزية ؟ أنا أكره أن يتكلم
الناس عنى بما لا أفهمه .. »

تتهددت في صبر ، ولم أعلق .. فقط تقدمتها إلى
حجرتي ..

كان (إيجور) جالساً إلى المكتب يدون آخر
ملاحظاته ، ثم مدّ يده ليتناول ما كتبت أنا ..

قارن الأزمنة بطرف قلمه ، ثم هز رأسه :

- « تطابق شعوري تام .. لا شك في هذا .. »

ثم قال وهو يناولني ورقة أخرى :

- « الآن نفل الشيء ذاته بالعكس .. »

ومن جديد اصطحبت (نجلاء) المكتتبة الصموت
إلى العنبر ، وكررت ما فعلته مع أختها .. وكالعادة
سألتني :

- « هذا (الخواجة) .. هل هو مجنون قليلاً ؟ »

- « ربما .. لكنه عبقرى كذلك .. »

- « وهل يملك شفائي ؟ »

- « لا أدرى .. لكنه يملك أن يحاول .. »

وعدنا إلى حجرتي ، وفي هذه المرة ابتسم (إيجور)
ومدّ يده يلوح بملاحظاته لى .. كانت ورقته بيضاء
من غير سوء ..

إن (ناهد) لم تشعر بشيء على الإطلاق مما
أصاب (نجلاء) ..

قلت له وأنا أجلس :

- « لا جديد في هذا .. كلنا يعرف هذا .. فقط

تأكدت أنت من أنني لا أحرّف أو أتلاعب بك .. »

قال وهو يرمق الفتاتين في اتبهار :

- « إن هذا لكنز حقيقي .. ولعلها المرة الأولى
التي توصف فيها ظاهرة مماثلة .. وإني لفي حاجة

بمئات العقبات : عهدة .. لا يمكن نقله .. ماذا تريد
عمله بالضبط ؟ لا بد من تصريح من العميد .. لا بد
من موافقة الأمن .. إلخ .
لكننى قد عزمت على أن أفعل ما يريد (إيجور) ..

إلى إجراء رسم للمخ فى أثناء حدوث هذه الظواهر ..
أحتاج أيضاً إلى إجراء اختبار بالبطاقات لقياس
الإمراك فائق الحصن لدى (نجلاء) هذه .. «
كانت (نجلاء) ملمة بالإنجليزية إلى حد ما ،
فاستطاعت التقاط كلمات مثل (حقيقى - المرة الأولى
- نجلاء) لكنها لم تقدر على وضع هذا كله فى
عبارات ذات معنى ..

أما (محمود) - وقد زدانت عيناه حولاً - فقد
فهم أكثر المحادثة ، وبدأ لى متوتراً بحق ..
قلت لـ (إيجور) :

- « يمكننى ترتيب رسم المخ غداً مع وحدة
الأمراض العصبية .. هل تحتاج لشيء آخر ؟ »
- « نعم .. أريد مجالاً للأشعة تحت الحمراء .. »
ضغطت على أسناتى ، وأنا أتصور هذا السيرك
الذى أنا مطالب بإعداده غداً .. يمكن اقتراض الجهاز
بشيء من العسر من وحدة الأطفال المبتسرين ، فهم
لا يستغنون عنه فى حالات صفراء حديثى الولادة ..
لكن الأمر شبه مستحيل فى (مصر) حيث تصطدم

الفصل التاسع : ممل جدًا .. وعليك بالفرار

إلى العاشر

في العاشرة صباحًا انتهيت من أكثر الترتيبات ..
كان همى الأكبر هو الفضوليون .. فلا أريد أن
أصق بسمعتي - كطارد أشباح مخبول - تهمة إجراء
تجارب غامضة لا تستند إلى أساس علمي ..
وما أكثر الفضوليين ! كأنما هو أمر خارق للطبيعة
أن ترى فتاتين توعمين وطبيبًا أصلع وطبيبًا أمريكيًا
كبير الأنف ، يحمل أحدهم جهازًا للأشعة تحت
الحمراء وبطاقات ورسام مخ .. وكل هذا متجه إلى
مكتبي الذى أحكمنا غلقه ..

قام (إيجور) أولاً بإجلاس (تجلاء) أمامه .. ثم راح
يخرج لها أوراقًا عشوائية من مجموعة أوراق لعب
خاصة به .. كانت الأوراق تحمل رسوماً معينة سهلة
كالنجمة والدائرة والصاعقة .. إلخ .. وكان على
(نجلاء) أن تخمن الرسم الموجود على ورقة اللعب ،
دون أن تراها ، وتقوله لأترجمه لـ (إيجور) ..

كانت هذه التجربة من تجارب (راين) الشهيرة ..
إن عدد بطاقات اللعب اثنتان وعشرون ، فلو
استطاعت (نجلاء) أن تصل للتخمين الصحيح فى
خمس منها لكان معنى هذا امتلاكها للإدراك الفائق
للحواس E.S.P ..

والمشكلة فى هذه التجارب أن قابليتها للتكرار
محدودة جدًا ؛ وهذا يؤدي إلى ارتفاع فى نسبة
(الاحتمالية) التى يرمز لها الإحصائيون بـ (P) ..
إن التجارب التى ترتفع فيها نسبة (الاحتمالية) هى
تجارب يمكن تفسير نتائجها بالصدفة المحضة ..
تجارب لا يمكن تكرارها بنفس النتائج .. تجارب
يتعذر النظر إليها بمنظار علمي لأن الحقيقة العلمية
(يجب) أن تكون قابلة للتكرار ..

أفقت من خواطرى على صوت (إيجور) يقول
باتنصار :

- « سبع ! »

سبع من اثنتين وعشرين محاولة .. لا بأس على
الإطلاق ..
قلت له :

- « لكن الرقم سينخفض لو كررت المحاولة
بالتأكيد ... »

ضحك طويلاً ، وقال :

- « إنها المحاولة الثالثة يا صديقى .. والنتائج
هى ست .. تسع .. سبع .. برغم أنك تترجم لى
ما تقوله الفتاة أجذك شارد الذهن تماماً .. »
ووضع الأوراق فى علبة أنيقة ودسها فى جيبه ،
وأردف :

- « إن الفتاة تملك إبداعاً فائقاً للحس .. هذا
ما استوتقتنا منه ، وليس لقانون الصدفة دور هنا .. »
- « وماذا يجدينا هذا ؟ »

- « سترى حين أنتهى .. »

وأمرنى بأن أبدأ بإظلام الغرفة وإسدال الستائر ،
وفى الظلام شبه الدامس جعلت (ناهد) ترقد على
سرير الفحص الصغير وتغمض عينيها ، بينما
(نجلاء) تجلس وراء مكتبى ..

ثم قام (إيجور) بتسليط كشاف الأشعة تحت
الحمراء على (ناهد) ، بعد ما قام بربط أقطاب رسام
المخ الكهربى إلى رأسها ..

سيرك ! هذا هو ما تحول إليه مكتبى .. لو أن
عميد الكلية مر الآن وفكر فى أن يفتح الباب .. !
- « الآن ابدأ المؤثرات المؤلمة .. »

وهكذا وقفت جوار سرير الفحص ، ورحت - لقد
صار هذا مملاً - أغرس دبوساً فى ساقى الفتاة
وذراعيها ، ثم أعرضها لمؤثرات حرارية (هى دبوس
قمت بتسخينه بقداحتى) ، ثم أضغط على عظامها ..
من خلف المكتب كنت أسمع صوت الـ (آى)
والـ (أوه) الخاص بـ (نجلاء) ، واقشعر جسمى ..
غريب جداً .. أن تؤذى جسداً فيتأوه جسد آخر من
شدة الألم ..

كان (إيجور) يراقب رسام المخ الكهربى فى أثناء
عمله ..

وفجأة صاح وهو يخرج آلة تصوير من حقيبته :

- « (رفعت) ! هل تراه !؟ »

* * *

إنه يأتى من العدم ليزوب فى العدم ..

هل تراه ؟ يعبر الأبعاد والأبعاد كى يتجسد فى
صورة شعاع زمردى لا ينسى عن التوهج .. براقاً
وامضاً رقيقاً ينساب فى تودة .. فهل تراه ؟

تتوهج له أرواحنا قبل وجوهنا وسماواتنا الخارجية ..
لقد جاء من بعيد .. من قلب الكون حيث تنعس
الأسرار .. من وراء السُدُم فى المجرات القصية ..
من كهوف لم يزرها بشر .. من جزر لم ترسم على
خريطة .. من كواكب لم يرها مرصد .. من الجانب
المظلم من القمر ..

ربما لمحها - فى فجر الكون .. غزال وليد ، فأجفل
يلحق بخطأ أمه عبر سهول (التايجا) ، أو ارتجف
لرؤياها طفل على كتف أمه ، فارتجفت بدورها لأنها
لا ترى ما يراه .. فلا بد أنها بسملت وحوقلت ..
ربما التمع لحظة فى عيني فتاة تمنيت أن تكون
لك ، وعرفت أنك لها ..

ربما اقتشع له جسد ناسك يرمى السماء المظلمة
وحيداً ، وربما رآه (بيتهوفن) ولم يستطع وصفه ،
فداعب مفاتيح البيانو كى تولد سيمفونيته التاسعة ..
ربما رآه من يحتضرون لحظة احتضارهم ولم
يصفوه قط .. ربما أبصره أكثر من شاعر طار صوابه
بعدها .. فلم يكتب حرفاً ..
ربما يبقى بعد ما نفنى ..

ربما هو موجود قبل أن توجد ..
لكنه هامس غريب متفرد ، لهذا لم نعرف
بوجوده قط ..

هل تراه يا (رفعت) ؟
نعم أراه .. وأعجز عن وصفه ..

كان الضباب الفوسفورى الأخضر الرقراق يتسلل
فى خط طويل بطيء من رأس (ناهد) إلى فضاء
الغرفة .. يتلوى هنا وهناك .. يدور من حولى ومن
حول رأس (إيجور) ثم ينتهى ليحيط رأس (نجلاء)
بهالة كهالات القديسين فى رسوم (رافائيل) ..

وفى دُعر همست (نجلاء) :

- « بسم الله الرحمن الرحيم .. ما هذا ؟ »

برهبة ، وتؤدة همست لها :

- « ابقى كما أنت بلا حراك .. »

ونظرت مستغيثاً إلى (إيجور) ، لكنه - لحسن
الحظ - لم يبذ مذعوراً ولا مذهولاً .. كان يعرف
ما عليه أن يتوقعه ..

قال لى بصوت ثابت :

- « هذا هو (السيلال الحيوى) .. لا تخف .. لقد رأيتك كثيراً فى تجارب تحضير الأرواح ، ولا يمكن رؤيته إلا فى الأشعة تحت الحمراء .. »
 وواصلت (نجلاء) الأمين بلا انقطاع ، بينما جسدها كان قد صار مغلفاً بهذا الضباب الأخضر ..
 (إيجور) يمسك بالكاميرا ويلتقط عدة صور للأختين .. كليك ! كليك ! كليك ! مستحيل أن يسمح هذا الظلام بصورة جيدة ، ما لم يكن هذا الفيلم من نوع خاص يلتقط الأشعة تحت الحمراء ..
 قال لى همساً :

- « استمر فى إيذاء (ناهد) .. »
 كانت (ناهد) مغمضة العينين كما أمرتها .. ومددت يدي بالدبوس كي أغرسه فى شحمة أذنها - برفق طبعاً - لكنها اختارت هذه اللحظة كي تفتح عينيها .. ولا بد أن ما رآته كان مرعباً ..
 - « أااااه ! أضيئوا الأنوار ! »
 كانت صرختها مريعة كأنما تحاول انتزاع نراعها الأيسر .. لكنى لا أئومها أبداً .. لا بد أن منظرنا كأشباح سوداء وسط ضباب فوسفورى أخضر كان مرعباً ..



يتلوى هنا وهناك .. يدور من حولي ومن حول رأس (إيجور) ثم ينتهى لحييط رأس (نجلاء) بهالة كهالات القديسين فى رسوم (رافائيل) ..

وكانت الصرخة كافية كي يتلاشى الضباب بلا
مقدمات ..

ويبدو مرتجفة أضأت النور الكهربى، واتجه (إيجور)
إلى النافذة ليفتح ستانها .. ضوء الشمس الحبيب
يتسرب كأنه مسحوق غسيل فعال يزيل كل هذه الظلال
النفسية ..

نظر حوله ثم قال :

- « هل الجميع بخير ؟ »

قلت له :

- « أظن هذا ، ما لم تكن واحدة منهما قد جئت .. »
ورحت أزيل الأقطاب عن رأس (ناهد) ، التى
راحت ترتجف وأسنانها تصطك .. وراحت تردد :

- « عفاريت ! أنتم تتعاملون مع العفاريت ! لقد
كانوا هنا معنا .. أنا واثقة من ذلك .. »

- « ماذا تقول ؟ »

كذا سألتنى (إيجور) وهو يجمع حاجياته فى
حقيبته ، فترجمت له ما قالت الفتاة .. قال بابتسامه
عليمة بالأمور :

- « لا ألومها كثيراً .. لكن لا عفاريت فى

الموضوع .. قل لها : إن هذه صورة من الحياة
اليومية فى معامل (الباراسيكولوجى) .. »

- « لن أقول ، فلن تفهم .. »

هنا دوت طرقات على الباب ..

- « د . (رفعت) ! هل أنت بخير ؟ »

لقد سمعوا صراخ الفتاة .. توتر (إيجور) لكننى
أشرت بيدي كى يطمئن، واتجهت إلى الباب وفتحته ..
كان هناك ثلاثة أطباء ومرضتان وعامل ، قد
حشروا رءوسهم فى فتحة الباب محاولين فهم
ما يجرى هنا ..

قلت لهم بابتسامه مشجعة :

- « لا شيء .. إنه (السيل الحيوى) قد أثار

رعب الفتاة .. إن هذه الأشياء تحدث ! »

هزوا رءوسهم فى فهم نكى وانصرفوا ..

هذا هو الحل الوحيد .. دعهم يعتقدوا أنى مجنون
وكفى .. أما إعطاء تفسيرات كاذبة فلن يزيد الأمور
إلا تعقيداً .. وعلى كل حال أعتقد أن كلاً منهم يخشى
أن يسأل الآخرين عن معنى (السيل الحيوى) هذا ،
حتى لا يبدو جاهلاً بأمر يديه ..

وعدت إلى (إيجور) أسأله :

- « الآن أريد تفسيراً لكل ما حدث في هذه
الغرفة .. »

* * *

الفصل العاشر : مهم نوعاً .. لكنه لن يضيف

شيئاً إلى الفصل التالي

قال (إيجور تاركوفسكى) :

- «إن الفتاة أنثوية.. وهذا هو مفتاح الموضوع..»
كنا جالسين في (كافتريا) صغيرة على طريق
المطار ، عالمين أنه يجب أن يكون في صالة
المسافرين خلال ساعة ..

قلت له وأنا أقطع شريحة اللحم :

- « لقد كان يومك مرهقاً .. تجربة الصباح ، ثم
طبع الصور ودراسة رسم المخ ، ثم استنتاج الموقف
من كل هذا .. »

راح يلوك طعامه مفكراً ثم قال :

- « هذا عملي وأنا أحبّه .. أنت رأيت الصور
طبعا .. فما رأيك ؟ »

وأشار إلى عددٍ صورٍ ملقاة على المنضدة بجوار
طبقه .. قالت - في أكثرها - تظهر بقعا لونية لها
السمت الخارجى لـ (ناهد) .. هذا هو جسدها كما

تراه الأشعة تحت الحمراء ، وكان (السيل الحيوى)
يخرج منها كدخان لغازة تبغ ويتلوى فى الهواء ..
قلت له :

- « الأمر واضح .. كل شيء يبدأ من الفص
الجبهى للفتاة .. إن رسم المخ - كما تؤكد أنت -
يظهر نشاطاً كهربياً غير عادى هناك .. »

راح ينظر للجالسين حولنا : الفتى والفتاة الجالسين
يتهاوسان على منضدة ذاتية .. العجوز الأرسقراطية
الصموت التى تحشو فمها بالمكروننة .. الرجل
العصبى الذى يبدو كلس حقائب ، ولا يكف عن
التلفت حوله ..

وقال :

- « كل هؤلاء بيعث منهم (سيل حيوى) فى كل
لحظة من حياتهم ، ويؤثر بشكل ما على من يحيطون
بهم .. لهذا تلقى من يمنحك البهجة أو النشوة ، وتلقى
من يمنحك الكآبة أو القلق .. لهذا تعرف الشخص
حتى لو تنكر بشكل متقن .. لهذا يمكنك أن تحسد
الآخرين .. إن (السيل الحيوى) المنبعث منك يؤثر
بشكل ضار فى (السيل) الخاص بمن تحسدهم ،

ولهذا يمرضون ويتشاجرون ويتصرفون بحماقة .. »
- « هذا كلام شعرى لا يمكن إثباته .. »
هز رأسه فى أسى ، وغمغم :

- « هذا حق .. كل تجارب الباراسيكولوجى غير
قابلة للتكرار للأسف .. وقد اعتدنا أن نساوى الـ (P)
أكثر من خمسة بالمائة .. هذا قدرنا(*) .. »

لكن هناك ما يعرفه الإحصائيون بـ (الخطأ من
النوع الثانى) ، حين تكون النتائج مهمة حقاً ، لكن
الإحصاء يقول إنه لا أهمية لها .. ولعمري هذه هى
مشكلة الـ (P) الأتلية ..

انتهت شريحة اللحم للأسف ولم أشبع بعد ، لذا
رحت ألتهم السلطة وأصغى لما يقول (إيجور) :

- « إن الفتاتين تملكان ذات (السيل الحيوى) ،
لهذا كانتا على اتصال شعورى دائم كأنما ما يربط
بينهما سلك من أسلاك الهاتف .. »

رفعت يدى معترضاً لأذكر - كما يقولون فى
الاجتماعات - نقطة نظام :

(*) سبق أن شرحنا معنى الـ (P) فى صفحة (١٠١) .

- « لحظة .. لقد ظهرت هذه الظاهرة فى وقت متأخر نسبياً .. ربما بعد انتهاء فترة المراهقة .. »
- « منطقي .. أن تباعد الفتاتين جسدياً - بعد ما تزوجت إحداهما - جعل الرابطة المعنوية أقوى .. إن الهاتف لا أهمية له حين تكون زوجتك معك فى غرفة واحدة ، لكن حين تصافر أنت يغدو الهاتف أهم جهاز فى الكون .. »
كدت أخبره أنني غير متزوج ، ثم تجاهلت هذا حتى لا يسألنى عن السبب وكل هذا الهراء .. وسألته أو - بالأحرى - عارضته :
- « المفترض أن الظواهر الباراسيكولوجية تنتعش فى سن مراهقة الفتيات ، وإلا لا تنتعش أبداً .. »
- « نحن لمينا بصدد ظاهرة باراسيكولوجية معروفة كالتحريك عن بعد أو التخاطر أو الوساطة .. نحن نتحدث عن الاتصال فمبغورى لزداد قوة فى فترة ما .. »
عدت أسأله وقد انتهت السيطرة للأسف :
- « لكن هذا الاتصال انقطع فى فترة ما .. »
- « بعد حادث الاختطاف .. هذا صحيح .. »

ورشف بعض الماء ، وأردف :
- « لقد كان العذاب شديداً ، والخوف أشد .. لهذا قاومت (نجلاء) كثيراً حتى تلغى ارتباطها الشديد مع أختها .. إنها لا تميل إليها بحال ، لكن عقلها الباطن - عقل شهيدة حقيقية - لم يتحمل فكرة أن تعانى (ناهد) الآلام ذاتها .. هكذا ببساطة قام بقطع حبل الاتصال بين الأختين ، ولم تعد (ناهد) تستقبل شيئاً .. »
- « هكذا ببساطة؟ لم أحسب (نجلاء) بهذا النبل .. »
- « هى بهذا النبل لكنها لا تعرف .. وهذا هو سبب عذابها .. »
ثم مد يده بالسكين ، ووضع رغيها فى طبقه ، وبنصل السكين قسمه إلى نصفين :
- « هكذا كانت الفتاتان كياناً واحداً سرعان ما انقسم فى رحم الأم ، وظفرت واحدة منهما بقسط هائل من النفعية والأمانية ، بينما لم تظفر الأخرى بشيء منهما .. نفس الشيء حدث بالنسبة للجمال وذاص الحياة ، وإن كانت (ناهد) غير جميلة على الإنلاق بمقاييس أمريكى مثلى .. »
« أنت تعرف ما يحدث للتوائم السيامية كثيراً .. »

إذ يتحول واحد منهما إلى وحش أنثى يمتص كل
الغذاء ، ويمتص وجود أخيه نفسه ، ليتحول الأخير
إلى ورم أو ثالولة في جسد الأول ..

« كانت (ناهد) توعماً من هذا النوع الأنثى ،
لكنها امتصت (نجلاء) نفسياً ، وببطء - حين انقطع
الإرسال من جهة (نجلاء) - صارت (ناهد) قادرة
على إرسال كل آلامها وأحزانتها إلى أختها البائسة ..
بل إنها ترسل مخاوفها كذلك لها ! »
التهمت أحد نصفي الرغبة ، وسألته :

- « ماذا تعنى ؟ »

- « شبح الفتى الذى يطارد (نجلاء) .. من
المنطقى أكثر أنه يطارد (ناهد) التى لا بد أن تشعر
بعقدة ذنب تجاهه .. أعتقد أن هذا الشبح يطارد
(ناهد) أساساً لكنها ترسله إلى أختها ! »

- « (ناهد) تفعل كل هذا ؟ »

- « لا شعورياً تفعله .. عقلها الباطن يفعله .. »
وأشعل لغازة تبغ غريبة المنظر ، فسألته فى حيرة :
- « حسبت من رسالتك السابقة أنك لا تدخن .. »
- « أحياناً أفعل .. أحياناً بعد وجبة دسمة كهذه ! »

نظرت إلى الأطباق الفارغة ، وتساءلت عن فارق
لفظة (دسم) بين المصرى والأمريكى .. لشد ما
تتباين الثقافات ..

نفث دخان اللغافة فى الهواء ، وقال :

- « ثمة نقطة مهمة لم تلحظها أنت ، ولاحظتها
أنا فى خطابك .. لقد أجريت جراحة - لقرحة معدية -
لـ (ناهد) ، وبرغم هذا لم تتم (نجلاء) عندما أخذت
(ناهد) جرعة التخدير .. وبعد هذا بأشهر نامت
(نجلاء) حين حققت أنت (ناهد) بالـ (بارالدهايد) ..
فما سرّ هذا التناقض ؟ »

اتسعت عيناي .. حقاً لم أنتبه لهذا من قبل ..

قال مبتسماً :

- « فى الماضى كان البث الشعورى مزدوجاً
بين الأختين ، وكان بوسع (نجلاء) أن تستجيب
أو لا تستجيب ، لأن لديها مشاعرهما الخاصة .. أما
فى الحاضر فقد صارت (نجلاء) تحت سيطرة (ناهد)
بالكامل .. »

هزرت رأسى موافقاً ، وبدأت أفتك بنصف الرغبة
الأخيرة ، فقال باسمًا :

- « لم أحسبك بهذه الشهية الطيبة برغم نحوك! »
- « إننى لا أعترف بطعام المطاعم .. أعتبره نوعاً
من فواتح الشهية لا أكثر .. ولا أذكر قط أننى شبعت
فى مطعم .. »
وبقم ممتلئ بالخبز سألته :

- « والحل ؟ »

قال فى جدية وهو يرمى الصور :

- « إن (ناهد) استحوذت تماماً بسيالها الحيوى
على أختها ، ولا مفر لنا سوى استئصال مصدر
هذا السيال .. إن بوسعنا الآن أن نحدد ذلك المصدر :
المنطقة (ب) من الفص الجبهي لـ (ناهد) .. وما
أحدث عنه هنا هو الجراحة النفسية ، كالتى أجريت
لى فى (الولايات) .. إن دكتور (إيرهارت) فى
(منيسوتا) قد صار حجة فى هذه الجراحات ،
ويعالج الهستيريا والوسواس القهرى بمبضعه ببراعة
تامة .. »

ابتلعت ريقى ، وعدت أسأله :

- « والتفقات ؟ »

- « هل يمكن تدبير علاجها على نفقة الحكومة
هنا ؟ »

ابتسمت فى مرارة :

- « يمكننى أن أتصور نفسى وأنا أكلم المسنولين
هنا عن ضرورة استئصال (السيال الحيوى)
لـ (ناهد) على نفقة الدولة ! سيكون هذا مشهداً
مسلياً حقاً .. »

أطفاً لفافة تبغها مفكراً ، ثم قال :

- « يمكن إقناع جامعة (دوك) بتحمل النفقات فى
سبيل البحث العلمى .. إن حالة الأختين مغرية بلا
شك ، وتهم الكثيرين .. لكنى لا أضمن لك هذا ..
يمكننى أن أؤكد أننى سأحاول جهدى .. »
- « هذا ما أريده .. »

نظر لساعته ، وأعلن أن الوقت قد حان للذهاب
للمطار ، فناديت النادل كى أرفع الحساب .. قال
(إيجور) وهو يخرج حافظته :

- « دعنى أتولّ هذا .. ما دمت لم تشبع ! »

أمسكت يده فى صرامة :

- « أنا من محافظة تدعى (الشرقية) .. ونحن
لا نمرح فى أمور كهذه .. ثم إنك لست أمريكياً
بالكامل ولا إنجليزياً .. أنت بولندى أصيل ! »

وأوصلته للمطار عاجزًا عن شكره بما يكفي ..
لن يعرف أبدًا كم أفادنى

الفصل الحادي عشر : شديد الأهمية لهذا أنصحك

بقراءة ما سبق لفهمه ..

بعد ثلاثة أيام :

جرس الهاتف يدق بلا انقطاع فى دارى ، ذلك
الرنين الطويل الذى يشى بمكالمة غير محلية .. إن
المكالمات المحلية تجلب الهموم ، لكن غير المحلية
تحمل المصائب دائمًا ..

وهرعت إلى السماعه وقلبى يتوثب .. فسمعت من
يتكلم بالإنجليزية .. ليس هذا من (كفر بدر) طبعًا
ما لم يكن اللورد (كيلرن) قد تولى الغدنية هناك ..
وأخيرًا جاء صوت (إيجور) :

- « د. (رفعت) .. إنهم موافقون ها هنا ! »

- « ماذا ؟ وافقوا دون مشاكل ؟ »

- « كانت هناك مشاكل لكنى نللتها ، والدكتور
(إيرهارت) مستعد لإجراء الجراحة مجانًا فى
مستشفاه بـ (منيسوتا) .. »

- « حقا لا أعرف ما أقول لك .. »

- « أنت تعرف كيف تتصل بهى .. عندما تستعد

الفتاتان سأرسل لك بالتعليمات ، وسوف تجد تذاكر
السفر في مكتب القائم بالأعمال .. «
- « شكراً يا (إيجور) .. شكراً ! »
ووضعت سماعة الهاتف ، وارتديت ثيابي على
عجل ..

الأسرة كلها جالسة في قاعة الجلوس ، التي جعلها
الاردحام كحافلة في ساعة الذروة .. أمامي تجلس
(نجلاء) منزوية ترمق الأرض بلا انقطاع ، وفي
أريكة واحدة يجلس الأب والأم لا يفهمان ما يحدث ،
وجوارهما (محمد شاهين) ..
أما (محمود) و (ناهد) - وقد جلس ابنيهما على
ركبتي أبيه - فيجلسان على مقعدين متجاورين ،
ويطن (ناهد) المنتفخ يشي بأننا اقتربنا جداً ..
نظرات الارتباب في شخصي المتواضع لا تتوقف ..
(كمال) يقف جوار النافذة مستنداً بكوعه إلى
إطارها ، ويحاول الفرار بعينيه منها كي لا يراها
ولا نراه ..
كان قدوم (كمال) هو أفضل ما استطعت عمله ،

وبوساطة قوية من (مختار) المحامي .. أنا لا أقتنع
أحدًا ، لكن (مختار) قوة كاسحة عاتية تجرف أمامها
كل شيء ، ويستحيل معها أن تعلن رأيك الخاص ..
كانت جلسة أمس مع (مختار) هي التي نجحت في
غسل مخ الفتى ، ولم يكن شريراً معنًا في شره ..
كان يحب (نجلاء) حقًا ، وتكفيه لمسة إصبع كي
يعود لها طالبًا الصفح ، ورذها إليه ..

لقد أسعد هذا (نجلاء) ، لكنها أزعجت أن تلعب
لعبة الأنثى العتيقة ، وتنتظاهر بأن الأمر غير ذي
أهمية لها .. إن الحياة ممكنة من دون (كمال) كما
هي ممكنة به ..

كان هذا الموقف حين بدأت جلستنا هذه في بيت
الأسرة ..

قلت لهم منتقياً كلماتي :
- « كما ترون قد فرغ الدكتور (تاركوفسكي)
من إجراء اختباره ، وهو يرى أن وضعنا ليس
مستحيلًا .. إن (نجلاء) و (ناهد) قابلتان للشفاء
من هذا الارتباط السخيف .. »

هنا قال (محمود) متمللاً :

- « لكن هذا الموضوع انتهى منذ زمن طويل .. »
- « انتهى بالنسبة لزوجتك ، لكنه قائم وبشكل
شنيع بالنسبة لـ (نجلاء) ، وما لم نفعل شيئاً ستظل
تلعب دور مركز الآلام لأختها ، وهذا ليس عدلاً على
الإطلاق .. »

- « والحل ؟ »

كان الأمر عسيراً بحق ، ولقد أصررت على إقحام
(كمال) لأجد في جانبه ما يعضدنى .. إن ما أقوله
سيفجر في وجهي غضبة عاتية ..
قلت في تودة :

- « هناك جراحة .. وهى ليست بالضبط جراحة
هينة ، لكن نسبة نجاحها لا بأس بها ، وسيكون على
الجراح أن يستأصل من مخ (ناهد) ذلك الجزء
المسلول عن تدفق السيال الحيوى إلى أختها ..
بعبارة أخرى سنقوم بقطع سلك الهاتف بين الأختين ..
- « أعرف أن هذا عسير ، لكن يطمئننا
أن الجراحة ستجرى فى مركز مختص بهذه الأمور
فى (منيسوتا) .. وستحمل جامعة (دوك) كافة نفقات

الجراحة ، فلن يكون علينا سوى الذهاب إلى (أمريكا)
برأس (ناهد) ! »

- « ونعود من دونه ! »

قالها (محمود) فى ضيق ، وهو ما كنت أتوقعه ..
قلت له فى كياسة :

- « لن يعود أحد دون رأس .. إن الجراحة النفسية
علاج فعال معترف به ، وما من حل آخر .. »
- « نحن - ببساطة - نرفض هذا الحل .. »
وبسماجة أضافت (ناهد) :

- « ثم لا تنس أننى حامل فى الأشهر الأخيرة ..
بل الأيام الأخيرة .. »

قلت وأنا أنظر إلى (نجلاء) الصموت :

- « ونحن سننتظر حتى تضعى حملك .. لن يجرى
أحد جراحة فى المخ لحامل متم .. »
اتسعت عيناها فى توحش ، وقالت :

- « سأكون واضحة .. أنت تريد منى أن أسلم رأسى
لعلمائك المخبولين هؤلاء كى يقطعوا جزءاً من مخى ،
وكل هذا على أساس نظرية ذلك الأمريكى غريب الأطوار ..
والمطلوب علاجى من مرض لا وجود له أصلاً .. »

- « لكنه موجود بالفعل لدى (نجلاء) .. هذه هي المشكلة .. لو كنت أنت من تعانين لبحثت بكل قواك عن مخرج .. أما والنار في بيت الجيران فما دخلك أنت بالموضوع ؟ »
قال (محمود) في كياسة ، وبلهجة من يهدئ الأمور :

- « دكتور (رفعت) .. أنت أسديت لنا خدمات كثيرة ، وكنا صديقين لفترة لا بأس بها .. لكنى أراك تقول ما لا يصدقه عقل .. ومن جديد نحن نرفض هذا الاقتراح المخيف .. »
هنا قاطعته (ناهد) في عصبية ، وبتوحش متزايد
قالت لى :

- ليس هذا كل شيء .. يجب أن تكف عن الإيقاع بينى وبين أختى .. كف عن إشعارها بأننى أملك الحل ولا أريد تقديمه لها .. كف عن وضعى فى صورة الأتانية .. »

كانت قد تحولت الآن إلى نمر شرس مخيف بحق ،
فلا يدنو منه إلا مجنون .. وكنت أنا هذا المجنون ..
قلت فى برود :

- « أنا لا أشعرها بشيء .. أنت بالفعل تملكين الحل .. »

نفخت غيظاً واحمرّ وجهها .. كانت من النسوة المتبرجات اللواتى يزلن شعر حواجبهن ليرسمن بدلاً منها خطأً بالقلم الأسود ، ولم يكن تأثير هذا - مع غضبها - محبباً للنفس .. كان تأثيراً شبه شيطانى ..
قالت :

- « حسن .. أنا أرفض حلك هذا وأريد منك أن تخرس ! »

كان وقع الكلمة عنيماً ، وشعرت بصفعة معنوية على خدى .. فأنا لم أعتد الإهانة قط .. وسمعت (محمد شاهين) يطقق بلسانه معترضاً ..
نظرت إلى (نجلاء) ، وبصوت مشروخ قليلاً سألتها :

- « (نجلاء) .. لماذا تكزمين الصمت ؟ »

لم ترفع عينيهما نحوى ، وهمست :

- « وماذا أقول ؟ »

- « قولى رأيك ! »

وقال (محمد شاهين) فى لهفة :

- « (نجلاء) .. هل أنت راضية ؟ »

بابتسامة جاتبية مريرة ، قالت :

- « أنا أجد الاقتراح غير منطقي ، عسيراً أن

أبتلعه .. ولو كنت مكان (ناهد) لما قبلت ! »

سرت تنهيدة ارتياح في جو الحجرة ، والتمعت

ضحكة وحشية كريمة على وجه (ناهد) ، ثم قال

(محمود) بتؤدة :

- « لقد سمعت ما قيل يا د . (رفعت) .. أعتقد

أنه ما من أسئلة أخرى .. »

ثم نهض في إيحاء ظاهرها اللطف وباطنها

الإهانة ، وقال :

- « الآن نرجو عذرك لأن هناك أموراً عائلية

خاصة ستتم مناقشتها ، وهي ليست مما يمكن قوله

أمام الغرباء ! »

كان هذا هو الطرد ..

المعنى واضح إذن .. نحن جميعاً متفقون ..

فمالك أنت بنا يا أحمق ؟ أسرة سعيدة متماسكة ..

دون (رفعت إسماعيل) و (إيجور) و (راين)

وكل علماء (دوک) المتطفلين ..

ودون كلمة أخرى غادرت المكان

* * *

طبعاً لا داعي لذكر تفاصيل المرض الذي ألمّ بي ،

وألزمني الفراش لمدة أسبوع بعدها ..

لقد حار زملائي فيه ، واعتقدوا أنها حمى تيفودية

أو .. أو .. لكنني كنت أعرف التشخيص الصحيح ..

إن كبريائي وقد جرح ينزف سموماً في دمي ..

طبعاً لن أحكى هذه التفاصيل السخيفة ، فهي شيء

معروف ..

فقط أقول إنني قلت لنفسى : هذا هو جزاؤك

الحق .. لماذا تتدخل فيما لا يعنيك وتسدى العون لمن

لم يطلبه ؟ أتطلب مزيداً من الحكمة والعلم؟ ما جدوى

الحكمة والعلم اللذين يسببان طردك بهذه الطريقة ؟

أسبوع مرّ علىّ في الشقاء .. لكنني في نهايته كنت

قد غدوت شخصاً آخر .. شخصاً لا يبالي بالآخرين ..

والمؤسف أنني كنت بهذا سعيداً راضياً ..

* * *

وبعد أسبوعين من تلك الجلسة الدامية قُلت

(ناهد) ..

كان هذا في الساعة مساءً ، وقد انتهت إجازة زوجها ، لذا كانت تعدّ كل شيء للسفر في الغد إلى (أسوان) .

أخبرني د. (محمد شاهين) وهو يبكي أن (محمود) و (ناهد) وطفلهما نزلوا إلى الشارع للتسوق .. وكان الشارع التجاري مزدحمًا يقصّ بالناس ، و (ناهد) تمشي وراء زوجها في حذر كي لا يصطدم أحد ببطنها الكبير ..

هنا برز رجل من وسط الزحام ، وقبل أن يفهم أحد ما حدث غرس سكينًا في عنقها ، وهو يصرخ :
- « من أجل (صلاح) ! »

والتفت الزوج إلى الورا ليرى المشهد الدامي ، وفي اللحظة ذاتها كان المعتدى - ملوحًا بسكينه - يحاول أن يشق الزحام مبتعدًا .. أجفل بعض المارة وابتعدوا .. لكن اثنين من أولاد البلد (الفتوات) استطاعا أن يجندلا المعتدى أرضًا ويصرعا ، وكان هناك ملامر شرطة شباب في ثياب مدنية ، وثب على المعتدى وانتزع السكين من يده ، وألصق بجبهته طبنجته الحكومية ..



والتفت الزوج إلى الورا ليرى المشهد الدامي ، وفي اللحظة ذاتها كان المعتدى - ملوحًا بسكينه - يحاول أن يشق الزحام مبتعدًا ..

لقد تمّ القبض على الفاعل .. الذى هو (ماهر)
طبعاً - لكن بعد ما حدث الضرر المطلوب ..
ها هي ذى (ناهد) ترقد على الرصيف ، فى بركة
من دمها ، مفتوحة العينين شاخصة للسماء ، والزوج
يحاول ذاهلاً أن يعرف موضع الخلل الذى انتزع الحياة
من هذا الجسد ..

« إسعاف ! إسعاف ! »

طلبها ، وطلبها بعض الواقفين ، لكن - بالنسبة
لأكثرهم - كان الأمر واضحاً تماماً .. لقد ماتت المرأة
على الفور

لقد انتظر (ماهر) اللحظة المناسبة طويلاً جداً
جداً ، وكان ينوى قتل الزوج لكنه عدل عن ذلك ،
ف (ناهد) ضحية مفضلة لأنها تعذب الزوج للأبد ،
ثم إنها الحبّ القاسى الذى تخلى عن أخيه ..
وها هو ذا يفعلها فى أبعاد اللحظات عن توقع شيء
كهذا ..

أخبرنى (محمد شاهين) بهذا هاتفياً ، وهو لا يكف
عن البكاء ؛ فسألته :

- « والجنين ؟ »
- « بالطبع مات بدوره .. ماذا تريد ؟ »
هنا تذكرت .. ثمة مأساة أخرى أكثر أهمية :
- « وماذا عن (نجلاء) !؟ »
- « لم تعرف بعد .. إنها مع زوجها فى
(الإسكندرية) ولا نعرف كيف نتصل بها ! »

- « يا حمقى ! »

كاتب المأساة قد وقعت فى المسابقة مساء ،
وأخبرنى (محمد شاهين) بها فى الثالثة بعد منتصف
الليل ..

لقد سافرت (نجلاء) مع زوجها إلى (الإسكندرية)
على سبيل شهر غسل ثانٍ ، وكى تهديء أعصابها بعد
كل ما كان من توترات .. ولكن يا له من وقت ! يا له
من وقت !

سألته فى حنق :

- « وهل تعرفون أين تقيم ؟ »
- « عند أخت (كمال) فى (العصافرة) .. لماذا
تسأل ؟ »

- « وتعرف عنوانها ؟ »

- « ربما أجده عند أم (كمال) .. ولكن لماذا
تسأل ؟ »

- « لأنك أحمق ! يجب أن نسرع حالاً إلى
(الإسكندرية) ، فلو صح توقعي ، أعتقد أن الأستاذ
(عبد الجواد خليفة) قد فقد ابنتين لا واحدة ! »

قال لي ذلك الجانب الطفولي من عقلي الباطن ..
- « ألم تقسم على عدم التدخل في شئون أسرة
المقاعب هذه ؟ »

فيقول له الجانب الناضج من عقلي :
- « ثمة أشياء أهم من الكبرياء ، وأمور لا يمكن
التردد فيها أساساً .. »

وهكذا - أنتم تعرفونني - رحلت أشق الطريق
الزراعي بسيارتني ، جوار (محمد شاهين) الذي
أنساه الذعر حزنه ، وراح يردد الأدعية كي لا تنقلب
السيارة ..

كان الظلام دامساً وثمة (شبورة) لا بأس بها ،
في هذه الساعات الأولى من اليوم .. وشعرت كأنني
أشق طريقى وسط سحابة ، أو وسط غابة من القطن
الأبيض ..

لم أخف لأنسى كنت منهمكاً في توجيه اللوم
والسباب لمراقفى :

- « يا حمقى ! يا أغبي الناس طراً ! لقد كان يوم
عرفتكم يوماً لم تشرق له شمس .. والأسوأ منه يوم
جعلتك تدخل دارى فى البداية ! »
فكان يرتجف وينصحنى بأن أهدأ كي لا نموت ..

* * *

وبعد مائة دقيقة لا أكثر كنت أشق شوارع المدينة
النائمة ، مسترشداً بوصفه .

أخيراً وصلنا للبناية المتواضعة فى الشارع الذى
أغرقه الضباب .. ثمة كلب ينبج فى مكان ما ، وكلب
يرد عليه .. البرد .. الصمت ..

قلت لـ (محمد شاهين) وأنا أطفئ المحرك :

- « لا أرى آثار موت .. لكن اصعد لترى .. »

- « بل تجيء معى .. »

وترجلنا ، ورحنا نرمق الكائن المظلم المغلق على
أسراره ..

- « هذا هو العنوان لا شك فى هذا .. »

وفى ببطء صعدنا الدرجات المظلمة .. كل شىء
يذكرنى ببيت (شبرا) كأن (نجلاء) - حتى حين

الخاتمة

عزيزى (إيجور) :

..... وكما ترى من رسالتي الطويلة ،
كانت هذه خاتمة الأحداث الدامية والمؤسفة التي
عصفت بهذه الأسرة ..
أما تفسيري لما حدث ، فهو أن موت (ناهد)
قطع الرابطة ما بين التوعمين ، وتحررت (نجلاء)
أخيراً ..
لقد كان جل ما شعرت به هو ألم حاد في العنق ،
وبحة في صوتها ، حتى إنها اضطرت إلى ربط
عنقها .. لكنها ظلت حية ..
هذه هي الإجابة عن سؤالنا عما كان سيصيب
إحدى الأختين لو ماتت الأخرى ..
لقد تم استئصال الجزء النشط من عقل (ناهد)
بطريقة جذرية للغاية ، وإن كنت لا أشعر بأسف كثير
لهذا .. لقد استحكمت (نجلاء) حريتها ، وإننى لواجد
عدالة شعرية لا بأس فيما حدث ..

تنتزه - لا تختار سوى ما يشبه بينتها الأصلية ..
وعند الطابق الثانى والأخير قرع (محمد شاهين)
الجرس طويلاً ..

ونظرت لساعتي : السادسة صباحاً تقريباً ، ولما
تشرق الشمس بعد .. وزوار الفجر يلهثون بانتظار
فتح الباب ..

صوت المزلاج .. سؤال فظ عن الطارق ..
الشراعة تفتح ..

ضوء السلم يضاء ليغمرنا بالنور ..
رجل فظ الملامح خشنها بطاقية النوم يرمقنا في
ذهول غاضب ..

ومن خلف ظهره لمحت وجه (كمال) المتسائل
المندهش ..

وبعد دقيقة برز فى مجال الرؤية ما كنت أبحت
عنه ..

(نجلاء) ..

كانت سليمة معافاة لو تجاوزنا عن المنديل
المربوط حول عنقها ..

* * *

هلكت الفتاة السيئة، وعاشت الطيبة سليمة معافاة ..
وإبنى لأرى بعين الخيال ..
أرى (نجلاء) و (كمال) يظفران بسعادة
استحقاها ولم يظفرا بها قط ..
أرى طفلتها الجميلة الطبيعية تفرح بينهما ..
أرى ابن (ناهد) يترعرع فى دار خالته طيبة
القلب ، دون أن يشعر لحظة بالحرمان من أمه ..
أرى (محمود) وقد عاد وحده إلى (أسوان)
يمارس حياته بلا مخاوف .. ولسوف ينسى .. حتماً
سينسى ..

أرى (نجلاء) - بعد عمر طويل وشيب كثير -
تلفظ أنفاسها الأخيرة ، لتلحق بـ (ناهد) فى العالم
الآخر ، وأعرف مطمئناً أنه - للمرة الأولى - لن
تتعذب واحدة منهما بدلاً من الأخرى ، لأنه عالم عادل
تسوده الرحمة الإلهية ..

انتهت قصة التوأمين ..
وحق لى أن أظفر ببعض الراحة ..

لكننى - فى ملاحقتى للفرائب - شبيهه بالنشئال الذى
لا يتوب أبداً ، مهما أمسكت به الشرطة ، ومهما تلقى
على قفاه من صفعات فى الحافلات ..
لهذا كانت هناك حلقة رعب ..
وهذه الحلقة .. كانت تدور حول موضوع محبب :
الرعب خلف باب مغلق ..
كانت هناك قصص عديدة ، لكن أفضلها كان
ولكن هذه حلقة أخرى .

د. رفعت إسماعيل القاهرة

ما وراء الطبيعة

روايات تقصصها الناس
من لغة الغد، من التوراة والآثار

روايات مصرجة للحبيب

أسطورة التوءمين

كان الضباب الغوسفوري
الرقراق يتسلل كالدخان في فضاء
الغرفة ، منبعثًا من رأس (ناهد) ،
ليلتف ببطء حول راسي ورأس (إيجور) ،
ثم ينتهي ليحيط برأس (نجلاء) ..
ونظرت مستغيثًا إلى (إيجور) لكنه
- لحسن الحظ - لم يبد مذهولًا ..
كان يعرف ماعليه أن
يتوقعه



د. احمد خالد توفيق



المؤسسة العربية الحديثة

طريق المطار والحي
11514 - 11514 - 11514

11514 - 11514 - 11514

الشمس في مصر ١٥٠
ومساهمة بالثقافة الأمريكية
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم :
خلف الباب المغلقل